دلالة (النَّظر) في القرآن الكريم

د. مصطفى كاظم شغيدل

جامعة بغداد/ كلية الآداب

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على خير خلقه أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

إن فضل القرآن على العربية حقيقة يعرفها الجميع ويؤمن بها؛ لأنّ العربية لم تستمرَّ إلا بالقرآن، ولم تكن عالمية إلا به[١].

ومعلوم ـ في الدراسات اللغوية ـ أن للألفاظ معنى معجمياً حقيقياً، فضلاً عن المعاني الثانوية الإضافية، التي يصطلح عليها البلاغيون مصطلح ((المعنى المجازي للفظ)).

والقرآن الكريم المعجز في ظاهره وباطنه مشحون بالاستعمالات المجازية للألفاظ، فضلاً عن المعاني الحقيقية، وما هذا البحث إلا محاولة يسيرة في هذا الباب، حاولت الوقوف فيه على لفظة تردَّد ذكرها في القرآن الكريم، وهي: ((النظر وتصاريفها))، فوسمته بـ((دلالة (النظر) في القرآن الكريم))، محاولاً الوقوف على معانيها في القرآن الكريم، معتمداً على أُمّات المصادر في التفسير والقرآن الكريم والرواية.

وقد جاءت لفظة ((النظر)) في القرآن الكريم بصيغ مختلفة، إذ جمعت بين الفعلية والاسمية، المجردة والمزيدة، ولاشك في أن اختيار الأوزان يقوم على أساس اختيار المعنى الذي يخدم أغراض التعبير القرآني من حيث الإبلاغ،

---

[١] ينظر: فصول في فقه العربية :١٠٨، وأثر القرآن والقراءات في النحو العربي :٣١، والقرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية :٤٥، وأثر القرآن في تطور النقد العربي :١٥١.

والتأثير، والإقناع؛ إذ يتأثر اللفظ والمعنى في بناء حكم معيّن وبدقة متناهية في إيصال المفردة القرآنية(١). بيد أني وجدت أن مادة ((النظر)) قد يشترك فيها الفعل والاسم في معنى واحد، وما يحدّد هذا المعنى هو السياق الذي وردت فيه، وإن كان للبناء الصرفي دَخَلٌ في تحديد ذلك المعنى؛ ولذا رأيت أن أتناول مادة ((النظر)) بحسب معانيها، وإن دَخَلَ في المعنى دلالة بناء الفعل أو الاسم، وسأشير ـ إن شاء الله تعالى ـ في أثناء ذلك كله إلى أثر البناء الصرفي في دلالة المعنى، وقبل الحديث عن معاني مادة ((النظر)) في القرآن الكريم، لابد من عرض لهذه اللفظة من خلال ما قاله أصحاب المعجمات. وهو ما سأُبيّنه في هذه التوطئة.

توطئة: مادة ((نـظـَر)) في المعجمات

تدل مادة ((نظر)) في الأصل على ((نـَظـَر العين)). ولكنها تخرج إلى معانٍ مجازية ثانوية، منها نـَظـَر القلب ـ التأمّل والتفكّر والتدبّر، والرحمة والعطف والإفاضة والإحسان، والعزل، والتوقّع، والإنتظار، والإمهال، والتأخير، والاستماع والإصغاء، والمناهزة، والعلم، والمقابلة، والحكم، والطلب، والحفظ، والهلاك.

فالنّظر حسُّ العين، يقال: نَظَرُه يَنْظُرُهُ نَظَراً ومَنْظَراً ومَنْظَرَةً، ونـَظـَر إليه، والمـَنْظَر مصدر نـَظـَر. وتقول: نـَظـَرتُ إلى كذا وكذا من نظر العين والقلب(٢). وقال أبو الحسن: نظرتُه و نـَظـَرْتُ إليه لغتان كقولك: كِلْتُه وكِلْتُ له(٣).

---

١) ينظر: مادة ((قتل)) في القرآن الكريم دراسة صرفية ((بحث منشور)) :٢.

٢) ينظر: العين (نظَر) ١٤٥/٢، ولسان العرب (نظَر) ٢١٥/٥، وتاج العروس (نظَر): ٣٥٤٩/١.

٣) ينظر: المخصص: ٦٩/١.

والنّظرُ تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يُراد به التأمّل والفحص، وقد يُراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص، وهو الرويّةُ.

يقال: نـَظـَرْتَ فلم تَنْظُرْ. أي: لم تتأمّلْ ولم تتروَّ. واستعمال النـَظـَر في البصر أكثر عند العامة، وفي البصيرة أكثر عند الخاصة(١).

وفُرّق بين ((نـَظـَر)) بمعنى ((نـَظـَر العين))، و((نـَظـَر)) بمعنى ((نـَظـَر القلب)) بأنّ: ((ما حكاه سيبويه من قولهم: انظُرْ فاذهب، فانظُرْ زيدٌ أبو مَنْ هو، فليس من نـَظـَر العين، وإنما هو من نـَظـَر العقل والبحث؛ ولذلك لم يَجُز فيه إلا الرفع؛ لأنّ فعل العين متعدٍّ إلى مفعول واحد، والذي يعلّق من الأفعال إنما هو الفعل المتعدي إلى مفعولين من أفعال النفس دون أفعال الحسِّ، قال: ألا ترى أنك لا تقول: نظرْتُ زيداً على هذا الحدِّ، يعني أنك إنما تقول: نـَظـَرْتُ زيداً بمعنى انتظرتُ أبو زيد...))(٢).

وقيل ـ أيضاً ـ إنك إذا قلت: نظرتُ إليه، لم يكن إلا بالعين، وإذا قلت: نظرتُ في الأمر: احتمل أن يكون تفكّراً وتدبّراً في القلب(٣).

والنظرةُ: الرحمة(٤)، وقوله ـ تبارك وتعالى ـ : (وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (٥)، أي لا يرحمهم(٦). و نـَظـَرُ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ هو إحسانه إليهم وإفاضة نعمه عليهم(٧). وقد تقول العرب: نـَظـَرْتُ لك، أي: عطفتُ عليك بما

---

١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (نظَر) :٨١٢، وتاج العروس (نظَر) :٣٥٤٩/١.

٢) المخصص :٦٩/١.

٣) ينظر: تهذيب اللغة (نظَر): ٤٠/٥، وتاج العروس (نظَر): ٣٥٥٠/١.

٤) ينظر: تهذيب اللغة (نظَر): ٣٩/٥.

٥) آل عمران :٧٧.

٦) ينظر: العين (نظَر): ١٤٥/٢، والمحيط في اللغة (نظَر): ٣٨٨/٢.

٧) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (نظَر): ٨١٣.

عندي، وقال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ (وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ)، ولم يقل: لا ينظر لهم، فيكون بمعنى التعطّف(١). وفي الحديث: ((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إلى قلوبكم وأعمالكم)). قال ابن الأثير: معنى النظر هنا الإحسان والرحمة والعطف؛ لأن النظر في الشاهد دليل المحبة، وترك النظر دليل البغض والكراهة، وميل الناس إلى الصور المـُعجبة والأموال الفائقة، والله ـ سبحانه ـ يتقدّس عن شبه المخلوقين، فجعل نـَظـَرهُ إلى ما هو السر واللّب وهو القلب والعمل، والنظر يقع على الأجسام والمعاني، فما كان بالأبصار فهو للأجسام، و ما كان بالبصائر كان للمعاني....)) (٢).

ويقال: نظرتُ فلاناً وانتظرته بمعنى، فإذا قلت: انتظرت فلم يجاوزك فِعلـُه، فمعناه: وقفتُ وتمهّلت، ونحو ذلك. واشتريته بنـَظـِرَة، أي: بانتظار، وقوله ـ عزَّ وجلَّ ـ : (فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ)(٣) أي: إنظار، واستنظر المشتري فلاناً: سألَهُ النـَظـِرَة(٤). وقال الفرّاء: تقول العرب: أَنظرني، أي: انتظرني قليلاً. وقوله ـ تبارك وتعالى ـ : (فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ) (٥)، أي: هل ينتظرون ينتظرون إلا نزول العذاب بهم. وقوله: انظرنا، أي: ارقبنا وانتظر ما يكون منّا (٦). فالنـَظـَر: الانتظار، والنـَظـِرَة: التأخير. وأَنظرته، أي أخّرته، واستنظره: استمهله، وتنظّره: أي: انتظره في مهلة (٧).

---

١) ينظر: العين (نظَر): ٢/١٤٥، وتاج العروس (نظَر) :١/٣٥٥٠.

٢) لسان العرب (نظر): ٥/٢١٥.

٣) البقرة: ٢٨٠.

٤) ينظر: العين (نظَر): ٢/١٤٥.

٥) فاطر: ٤٣.

٦) ينظر: تهذيب اللغة (نظَر): ٥/٤٠.

٧) ينظر: الصحاح في اللغة (نظَر): ٢/٢١٦.

ونظرتـه وانتظرتـه بمعنى، وتنظـّرت القوم: انتظرتـُهم(١). ونـَظـَر الرجل ينظـُرُه وانتظره وتنظـَّره: تأنـّى عليه. والنـَظـِرة: التأخير في الأمر. ويقال: بعثُ فلاناً فأنظرتـه، أي: أمهلته. وقوله ـ تبارك وتعالى ـ : (فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ)(٢)، أي: إنظار، وفي الحديث: كنتُ أُبايع الناس فكنتُ أُنظر المعسر. الإنظار: التأخير والإمهال، يقال: أنظرتـه أُنْظِرُهُ، واستنظره: طلب منه النـَظـِرة واستمهله(٣). ويقال: نـَظـَرتـُه وانتظرتـه: إذا ارتقبت حضوره(٤).

ويقول القائل للمؤمّل يرجوه: إنما أنظرُ إلى الله ثـُمّ إليك، أي: أتوقـّعُ فضلَ الله ثـُمّ فضلَـك. والتنظـُّر: توقـُّع مـَنْ ينتظره(٥).

والمـَنْظـَرُ مصدر كالنّظر، وإن فلاناً لفي مـَنْظـَر ومـَسْمـَع، أي: فيما أحبَّ النظر إليه والاستماع، قال: لقد كنتُ عن هذا المقام بمنظر، أي: بمعزلٍ فيما أحببت(٦).

وتقول: انْظـُرني يا فلان، أي: استمع إليَّ، وكذلك قوله تعالى: (وَقُولُواْ انظُرْنَا)(٧)(٨).

والمناظـَرة: أن تـُناظر أخاك في أمر إذا نـَظـَرتـُما فيه معاً كيف تأتيانه(١). والمـُناظـَرة: المباحثة والمباراة في النّظـَر، واستحضار كل ما يراه ببصيرته(٢).

---

١) ينظر: المحيط في اللغة (نظر): ٣٨٨/٢.

٢) البقرة: ٢٨٠.

٣) ينظر: لسان العرب (نظر): ٢١٥/٥.

٤) ينظر: تاج العروس (نظر): ٣٥٥٢/١.

٥) ينظر: العين (نظر): ١٤٥/٢، ولسان العرب (نظر): ٢١٥/٥.

٦) ينظر: العين (نظر): ١٤٥/٢.

٧) البقرة: ١٠٤.

٨) ينظر: العين (نظر): ١٤٥/٢، والمحيط في اللغة (نظر): ٣٨٨/٢، وتاج العروس (نظر) :٣٥٥٣/١.

ويقال: هذا الجيش يُناظر ألفاً، أي: يناهزه، ويقال: داري تَنْظُرُ إلى دار فلان، أي: تقابلُـها(٣).

ويقال: نـَظـَر الدهر إليهم، أي: أهلكهم(٤)، ونظرتُ الشيء: حفظتـُه، ويقال: انْظـُر لي فلاناً، أي: اطلبـْه، ونظر بينهم، أي: حكم(٥).

ويقال: فلان ينظر ما تصنع، أي: يرى ويعلم ما يكون منك، كقوله تعالى: (فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) (٦)، أي: يرى ما يكون منكم فيجازيكم على ما يشاء من هذه مما قد علم غيبه قبل وقوعه(٧).

وفرّق أبو هلال العسكري بين ((نـَظـَر)) بمعنى ((نـَظـَر العين))، و((نـَظـَر)) بمعنى ((نـَظـَر القلب)) بقوله إنّ ((النظر بالبصر الإقبال به نحو المـُبصـَر، والنظر بالقلب الإقبال بالفكر نحو المـُفكّر فيه...)) (٨).

وفـَرّق بين ((النـَظـَر)) و((الرؤية)) بقوله: ((قيل: الفرق بينهما أن الرؤية هي: إدراك المرئي، والنظر: إقبال بالبصر نحو المرئي؛ ولذلك قد ينظر ولا يراه، ولذلك يجوز أن يقال إنّ الله ــ تعالى ــ : إنه راءٍ، ولا يقال: إنـّه ناظر)) (٩).

---

١) ينظر: العين (نظرَ): ٢/١٤٥.

٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (نظرَ): ٨١٤.

٣) ينظر: المحيط في اللغة (نظرَ): ٢/٣٨٨.

٤) ينظر: المصدر نفسه (نظرَ): ٢/٣٨٨.

٥) ينظر: تاج العروس (نظرَ): ١/٣٥٥٤.

٦) الأعراف: ١٢٩.

٧) ينظر: تهذيب اللغة (نظرَ): ٥/٤٠.

٨) الفروق اللغوية :١٦٤.

٩) المصدر نفسه :١٦٥.

أما في القرآن الكريم فقد جاءت مادة ((نـَظـَرَ)) ومشتقاتها في مائة وتسع وعشرين مرّة، تسع وتسعون مرة في آيات مكية، وثلاثون مرة في آيات مدنية(١)؛ (١)؛ لتدلّ على معانٍ تسعة، وهي:

أولاً: ((النـَظـَر)) بمعنى ((البصر ـ رؤية العين))

ورد ((النـَظـَر)) في القرآن الكريم دالاً على ((البصر ـ رؤية العين))، ومما ورد منه(٢) قوله ـ تبارك وتعالى ـ (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ)(٣).

وقد ذكر المفسرون ـ ممّن اطلعتُ على آرائهم ـ للـ((نظر)) في الآية الكريمة (وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ) ثلاثة معانٍ، وهي:

أولاً: ((نظر)) بمعنى ((البصر ـ رؤية العين))؛ فمعنى (وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ) أي: ترون ذلك، وتعاينونه، وتشاهدونه لا تشكـّون فيه، وإليه ذهب كلٌ من الطوسي(٤)،

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس :٧٠٥ـ٧٠٦.

(٢) ينظر: قوله تعالى: (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ) البقرة: ٥٠، وقوله تعالى: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ) البقرة: ٥٥، وقوله تعالى: (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىَ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) البقرة: ٢٥٩، وقوله تعالى: (لَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ)، آل عمران: ١٤٣، وقوله تعالى: (وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) الأعراف: ١٤٣، وقوله تعالى: (وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ) الأعراف: ١٩٨، وقوله تعالى: (يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ) الأنفال: ٦، وقوله تعالى: (وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُواْ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُون) التوبة: ١٢٧، وقوله تعالى: (وَمِنهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يُبْصِرُونَ) يونس: ٤٣، وقوله تعالى: (أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً) الأحزاب: ١٩، وقوله تعالى: (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ) الصافات: ١٩، وقوله تعالى: (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ) الصافات: ٨٨، وقوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ) الزمر: ٦٨، وقوله تعالى: (وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ) محمد: ٢٠، وقوله تعالى: (فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ) الذاريات: ٤٤، وقوله تعالى: (وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ) الواقعة: ٨٤، وقوله تعالى: (ثُمَّ نَظَرَ) المدثر: ٢١، وقوله تعالى: (إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً) النبأ: ٤٠، وقوله تعالى: (عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ) المطففين: ٢٣ و٣٥، والله أعلم.

(٣) البقرة: ٥٠.

(٤) ينظر: التبيان في تفسير القرآن :٢٢٢/١، وجوامع الجامع :٩٩/١.

والزمخشري(١)، وابن كثير(٢)، والبيضاوي(٣)، وأبي السعود(٤)، والفيض الكاشاني(٥)، وابن عاشور(٦)، والخطيب الشربيني (٧).

ونقل أبو حيّان خمسة أقوال في كيفية ذلك ((النظر ـ البصر، رؤية العين)) الحاصل، إذ قال: (((وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ): جملة حالية، وهو من النظرة بمعنى الإبصار، والمعنى، والله أعلم: أن هذه الخوارق العظيمة من فرق البحر بكم، وإنجائكم من الغرق، ومن أعدائكم، وإهلاك أعدائكم بالغرق، وقع وأنتم تعاينون ذلك وتشاهدونه، لم يصل ذلك إليكم بنقل، بل بالمشاهدة التي توجب العلم الضروري بأن ذلك خارق من عند الله تعالى على يد النبي الذي جاءكم. وقيل: وأنتم تنظرون إليهم لقرب بعض من بعض، وقيل: إلى طفوهم على وجه الماء غرقى. وقيل: إليهم وقد لفظهم البحر وهم العدد الذي لا يكاد ينحصر، لم يترك البحر في جوفه منهم واحداً.

وقيل: تنظرون، أي: بعضكم إلى بعض، وأنتم سائرون في البحر؛ وذلك أنه نُقِل أن بعض قوم موسى قالوا له: أين أصحابنا، فقال: سيروا؛ فإنهم على طريق مثل طريقكم، قالوا: لا نرضى حتى نراهم، فأوحى الله إليه أن قل بعصاك هكذا، فقال بها على الحيطان، فصار بها كوى، فتراءوا وتسامعوا كلام بعضهم بعضاً)) (٨).

---

١) ينظر: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل :٦/٢١٠.

٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم :١/٢٥٧.

٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل :١/٨٧.

٤) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم :١/١٣٠.

٥) ينظر: التفسير الصافي :١/١٣٨.

٦) ينظر: التحرير والتنوير: ١/٢٩٠ .

٧) ينظر: تفسير السراج المنير :١/١٢١.

٨) البحر المحيط :١/٢٥٢. وينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن :٢/٥٤، وزاد المسير في علم التفسير :١/٦٢.

ثانياً: ((النظر)) بمعنى ((البصيرة والعقل))، ومعناه: وأنتم تعتبرون بمصرعهم، وتتعظون بمواقع النقمة التي أُرسلت إليهم(١).

ثالثاً: ((النظر)) بمعنى ((العلم))؛ لأن العلم يحصل عن النظر، فكنـّى به عنه(٢).

ويبدو لي ـ والله أعلم ـ أن دلالة ((النظر)) في الآية الكريمة بمعنى ((البصر رؤية العين))؛ فحادثة الإنقاذ ـ كما يذكر المفسرون ـ حدثت بعد عدم استجابة فرعون وقومه لدعوة نبي الله موسى (عليه السلام) مع كلّ ما شاهدوه من المعجزات، إذ ذاك ((أُمر أن يخرج مع بني إسرائيل في منتصف الليل من مصر، وعند وصولهم النيل علموا أن فرعون وجيوشه يلاحقونه، فاعترى بني إسرائيل خوف واضطراب شديدان؛ فالبحر أمامهم والعدو وراءهم. وفي هذه اللحظات الحسّاسة، أُمر موسى أن يضرب البحر بعصاه، فانشقت فيه طرق متعدّدة عبر منها بنو إسرائيل، بينما التحم الماء حينما كان آل فرعون في وسطه، فغرقوا جميعاً، ونجا بنو إسرائيل، وهم ينظرون إلى هلاك أعدائهم.

الهدف من تذكير بني إسرائيل بهذا الحدث الذي بدأ بخوف شديد، وانتهى بانتصار ساحق، هو دفعهم إلى الشكر، وللسير على طريق الرسالة الإلهية المتمثلة في دين النبي الخاتم))(٣). فهذه الحال ((زيادة في تقرير النعمة وتعظيمها؛ فإنّ مشاهدة المنعم عليه للنعمة لذة عظيمة لاسيما ومشاهدة إغراق العدو أيضاً نعمة زائدة، كما أن مشاهدة فرق البحر نعمة عظيمة؛ لما فيها من مشاهدة معجزة تزيدهم إيماناً، وحادث لا تتأتى مشاهدته لأحد))(٤).

---

١) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٤٢٩/١، والبحر المحيط: ٢٥٢/١.

٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير: ٦٢/١، والبحر المحيط: ٢٥٢/١، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٣١٠/١.

٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٢٤/١.

٤) التحرير والتنوير: ١٥٠/١٣.

فيكون المعنى: (فأنجيناكم)، أي: خلّصناكم منهم، وحجزنا بينكم وبينهم، وأغرقناهم، وأنتم تنظرون؛ ليكون ذلك أشفى لصدوركم، وأبلغ في إهانة عدوّكم(١).

۞ ومنه قوله ــ عزَّ وجلَّ ــ :(وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ * وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ)(٢).

وقد ذكر المفسرون ــ ممن اطلعت على آرائهم ــ لدلالة ((النظر)) في الآية الكريمة (يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ) معنيين:

أحدهما: ((النظر)) بمعنى ((البصر ــ رؤية العين))، بيد أنهم اختلفوا في كيفية ذلك النظر؛ ولذلك فإنهم ذكروا أقوالاً متعدّدة، أهمها:

أولاً: إن المعنى: ينظرون من طرف ذليل(٣)، أي: ((يخفونه من الذل الذي بهم)) (٤). قال الطبري: ((إنهم ينظرون إلى النار من طرف ذليل، وصفه الله جلّ ثناؤه بالخفاء؛ للذلة التي ركبتهم حتى كادت أعينهم أن تغور فتذهب)) (٥).

ثانياً: قال الأخفش: ((جعل الطرف العين، كأنه قال: ونظرهم من عين ضعيفة)) (٦).

ثالثاً: قيل إن المعنى: أنه لا يفتح عينيه، وإنما ينظر ببعضها(٧).

---

١) ينظر: تفسير القرآن العظيم :١/٢٥٧.

٢) الشورى :٤٤.٤٥.

٣) ينظر: تفسير مجاهد :٢/٢٢٧، وجامع البيان في تأويل آي القرآن :٢٥/٤١، والتبيان في تفسير القرآن :١/١٦٥، والبحر المحيط :٩/٤٨٦، ومجمع البيان في تفسير القرآن :٩/٥١، وزاد المسير في علم التفسير :٥/٣٢٦، والجامع لأحكام القرآن :١٦/٣١، والدر المنثور في التأويل بالمأثور :٩/٨١، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :٢٥/٤٦، والميزان في تفسير القرآن :١٨/٣٤.

٤) معاني القرآن ((للفرّاء)) :٣/٢٦.

٥) جامع البيان في تأويل آي القرآن :٢٥/٤١.

٦) ينظر: معاني القرآن ((للأخفش)) :٢/٤٧١. وينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٢٥/٤١، وتلخيص البيان في مجازات القرآن :٢٢٩، والجامع لأحكام القرآن :١٦/٣١.

٧) ينظر: مجاز القرآن ((لأبي عبيدة)) :٢/٢٠١، وجامع البيان في تأويل آي القرآن :٢٥/٤١، وغريب القرآن ((للسجستاني)) :١٣٤، ومجمع البيان في تفسير القرآن :٩/٥١، وزاد المسير في علم التفسير :٥/٣٢٦.

رابعاً: المراد ((أنهم غضوا أبصارهم من الذل)) (١)، فالكفّار ((لا يرفعون أبصارهم للنظر رفعاً تاماً؛ لأنهم ناكسو الرؤوس، والعرب تصف الذليل بغض الطرف، كما يستعملون في ضده حديد النظر، إذا لم يتهم بريبة فيكون عليه منها غضاضة)) (٢).

خامساً: أنهم يُسارقون النظر من شدة الخوف؛ لأنهم لا يجرأون أن ينظروا إلى النار بجميع أبصارهم من هول النار وألوان العذاب(٣). قال الشريف الرضي: الرضي: ((وهذه استعارة، والمراد بذلك أن نظرهم نظر الخائف الذليل، والمرتاب الظنين، فهو لا ينظر إلا مسترقاً، ولا يغضي إلا مشفقاً، وهذا معنى قولهم: فلان لا يملأ عينيه من فلان: إذا وصفوه بعظم الهيبة له، وشدة المخافة منه، فكأنهم لا ينظرون بمتّسعات عيونهم، وإنما ينظرون بشفافاتها من ذُلـّهم ومخافتهم)) (٤).

سادساً: أنهم من شدة الانهيار والإعياء لا يستطيعون فتح العين بشكل كامل(٥).

والآخر: أن ((النظر)) بالقلب، فالمعنى: أنهم نظروا إلى النار بقلوبهم، ولم يروها بأعينهم؛ لأنهم يحشرون عمياً(٦). وقال الزمخشري: فيه تعسُّف(١)، وقال أبو حيان: فيه تكلـُّف(٢).

---

[١] تفسير غريب القرآن ((لابن قتيبة)) :٣٩٤.

[٢] الجامع لأحكام القرآن :٣١/١٦. وينظر: معالم التنزيل :١٩٩/٧.

[٣] ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن :٥٥٣/٢١، والتبيان في تفسير القرآن :١٥٦/١، وتفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل :٢١٠/٦، ومجمع البيان في تفسير القرآن :٥١/٩، وزاد المسير في علم التفسير :٣٢٦/٥، والبحر المحيط :٤٨٦/٩، وتفسير القرآن العظيم :٢١٥/٧، والدر المنثور في التأويل بالمأثور :٨١/٩، والتفسير الصافي :٣٨٩/٥، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :٥٦٠/١٥.

[٤] تلخيص البيان في مجازات القرآن :٢٩٨. وينظر: التفسير الكبير :١٨٢/٢٧، والجامع لأحكام القرآن :٣١/١٦، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :٤٦/٢٥.

[٥] ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :٥٦٠/١٥.

[٦] ينظر: معاني القرآن ((للفرّاء)) :٢٦/٣، وجامع البيان في تأويل آي القرآن :٤١/٢٥، والتبيان في تفسير القرآن :١٥٦/١، ومعالم التنزيل :١٩٩/٧، وتفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل :٢١٠/٦، وزاد المسير في علم التفسير :٣٢٦/٥، والجامع لأحكام القرآن :٣١/١٦.

ويبدو لي ـ والله أعلم ـ أن الراجح في دلالة ((النظر)) في الآية الكريمة هو ((البصر ـ رؤية العين))؛ وذلك لسببين:

أحدهما: ذيل الآية الكريمة ((طرف خفي))، وهو ما تنبّه عليه ابن عاشور، إذ قال: ((والطرف: أصله مصدر، وهو تحريك جفن العين، يقال: طـَرَف من باب ضـَرَب، أي: حرّك جفنه، وقد يُطلق على العين من تسمية الشيء بفعله؛ ولذلك لا يثنى ولا يجمع. قال تعالى: (لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ)[3]. ووصفه في هذه الآية بـ(خفي) يقتضي أنه أُريد به حركة العين، أي: ينظرون نظراً خفياً؛ أي: لا حدّة فيه، فهو كمُسارقة النظر؛ وذلك من هول ما يرونه من العذاب، فهم يحجمون عن مشاهدته للروع الذي يصيبهم منها، ويبعثهم ما في الإنسان من حب الاطلاع أن يتطلعوا لما يساقون إليه كحال الهارب الخائف ممن يتبعه، فتراه يمعن في الجري، ويلتفت وراءه الفينة بعد الفينة لينظر هل اقترب منه الذي يجري وراءه، وهو في تلك الالتفاتة أفات خطوات من جريه، لكن حب الاطلاع يغالبه... والمعنى: ينظرون نظراً منبعثاً من حركة الجفن الخفية))[4].

والآخر: أن رؤية الكافرين النار بأبصارهم نوع من أنواع العذاب، فأن يرى المعذّب بالنار ويُعذّب فيها، يختلف عن العذاب بها من دون الإبصار، فالإبصار مع العذاب أبلغ وأشدّ قسوة.

ولعلّ الذي حمل الذين قالوا بأن دلالة ((النظر)) في الأية الكريمة هو (بالقلب))، أي: أنهم نظروا إلى النار بقلوبهم، ولم يروها بأعينهم، هو قوله ـ

---

[1] ينظر: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل :٢١٠/٦.

[2] ينظر: البحر المحيط :٤٨٦/٩.

[3] إبراهيم :٤٣.

[4] التحرير والتنوير :١٥٠/١٣.

عزَّ وجلَّ ــ : (قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً)(١)، وقد أشار إلى ذلك ابن القيم بقوله: ((والذين رجّحوا أنه منعمو البصر قالوا السياق لا يدلُّ إلا عليه لقوله: (قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً)، وهو لم يكن بصيراً في كفره قط، بل قد تبيّن له حينئذٍ أنه كان في الدنيا في عمىً عن الحق، فكيف يقول: (وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً) وكيف يجاب بقوله: (كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى)(٢)، بل هذا الجواب فيه تنبيه على أنه من عمى البصر، وأنه جُوزِيَ من جنس عمله، فإنه لمّا أعرض عن الذكر الذي بعث الله به رسوله، وعميت عنه بصيرته أعمى الله بصره يوم القيامة، وتركه في العذاب، كما ترك الذكر في الدنيا، فجازاه على عمى بصيرته عمىً في الآخرة، وعلى تركه ذكره تركه في العذاب، وقال تعالى: (وَمَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاء مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً)(٣). وقد قيل في الآية أيضاً أنهم عميٌ وبكم وصمٌّ عن الهدى كما قيل في قوله: (وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) (٤) قالوا: لأنهم يتكلّمون يومئذٍ ويسمعون ويبصرون)) (٥)، وقد رُدّ عن ذلك، فقيل: ((هو عمى وصمم وبكم مقيّد لا مطلق، فهو عمىً عن رؤية ما يسرّهم سماعه... وقال آخرون: هذا الحشر حتى تتوفاهم الملائكة يخرجون من الدنيا كذلك، فإذا قاموا من قبورهم إلى الموقف، قاموا كذلك، ثم إنهم يسمعون ويبصرون فيما بعد... وقال آخرون: هذا إنما يكون إذا دخلوا النار واستقرّوا فيها، سلبوا الأسماع والأبصار والنطق

---

(١) طه :١٢٥ .

(٢) طه: ١٢٦.

(٣) الإسراء: ٩٧.

(٤) طه: ١٢٤.

(٥) التفسير القيم لابن القيم :٤٢/٢ .

حين يقول لهم الرّب: (اخْسَؤُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ)[1]، فحينئذٍ ينقطع الرجاء، وتبكم عقولهم، فيصيرون بأجمعهم بكماً صُماً لا يُبصرون ولا يسمعون ولا ينطقون، ولا يسمع منهم إلا الزفير)) [2].

ثانياً: ((النظر)) بمعنى ((التأمـّل والاعتبار))

جاء في القرآن الكريم ((النظر)) دالاً على التأمل والاعتبار[3]، ومنه قوله ـ تبارك وتعالى ـ : (ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إلى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُواْ بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) [4]؛ إذ اتفقت كلمة المفسرين ـ ممن اطلعتُ على آرائهم ـ على أن دلالة ((النظر)) في الآية الكريمة هي ((التأمل والاعتبار))، وقد صرّح الطبري بذلك قائلاً: ((يقول جلّ ثناؤه لنبيّه محمد

---

[1] المؤمنون: ١٠٨.

[2] التفسير القيم لابن القيم :٤٢/٢.

[3] ينظر: قوله تعالى: (انظُرْ كَيفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُّبِيناً) النساء :٥٠، وقوله تعالى: (ما الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) المائدة :٧٥، وقوله تعالى: (انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ) الأنعام :٢٤، وقوله تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ)، الأنعام :٤٦، وقوله تعالى: (انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ) الأنعام :٦٥، وقوله تعالى: (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) الأعراف :٤٨، وقوله تعالى: (وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) الأعراف :٨٦، وقوله تعالى: (ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إلى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ

فَظَلَمُواْ بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) الأعراف :١٠٣، وقوله تعالى: (بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) يونس :٣٩، وقوله تعالى: (فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ) يونس :٧٣، وقوله تعالى: (انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً) الإسراء :٢١، وقوله تعالى: (انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلاَ يَسْتَطِيعْونَ سَبِيلاً) الإسراء :٤٨، وقوله تعالى: (مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاء ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ) الحج :١٥، وقوله تعالى: (انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً) الفرقان :٩، وقوله تعالى: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) النمل :١٤، وقوله تعالى: (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ) النمل :٥١، وقوله تعالى: (فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) القصص :٤٠، وقوله تعالى: (انظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ) الصافات :٧٣، وقوله تعالى: (فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) الزخرف :٢٥، والله أعلم.

[4] الأعراف :١٠٣.

(ص): فانظر يا محمد، بعين قلبك كيف كان عاقبة هؤلاء الذين أفسدوا في الأرض، يعني فرعون وملأه))(١).

وقال الطوسي في تفسيره الآية الكريمة، مبيّناً دلالة ((النظر)) فيها: ((وقوله: (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) معنى النظر هو محاولة التصور للشيء بالفكر فيه، وهو طلب إدراك المعنى بالتأويل له. وقيل: هو تحديق القلب إلى المعنى لإدراكه، وكأنّه قيل: فانظر ــ يعني بالقلب ــ كيف كان عاقبتهم))(٢).

وفصّل أبو حيان الأندلسي في بيان دلالة ((النظر)) في الآية الكريمة؛ إذ قال: (((ثم بعثنا..) لمّا قصّ الله تعالى على نبيّه أخبار نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وما آله إليه أمر قومهم، وكان هؤلاء لم يبق منهم أحد، أتبع بقصص موسى وفرعون وبني إسرائيل، إذ كانت معجزاته من أعظم المعجزات، وأُمّته من أكثر الأُمم تكذيباً وتعنّتاً واقتراحاً وجهلاً، وكان قد بقي من أتباعه عالم، وهم اليهود، فقصّ الله علينا قصصه لنعتبر ونتعظ وننزجر عن أن نتشبّه بهم... قال الأمم: ظلموا تلك النعم التي آتاهم الله بأن استعانوا بها على معصية الله تعالى فانظر أيها السامع ما آل إليه أمر المفسدين الظالمين، جعلهم مثالاً توعّد به كفرة عصر الرسول عليه السلام))(٣). فاستمع للقصص واعتبر، فلا يمكن المشاهدة.
⟹

وذهب كلٌّ من البغوي(٤)، والقرطبي(٥)، وابن كثير(٦)، والبيضاوي(٧)، وأبي وأبي السعود(٨)، والآلوسي(٩)، وابن عاشور(١٠)، وسيد قطب(١)، والسيد علي

---

١) جامع البيان في تأويل آي القرآن :٩/١٨.

٢) التبيان في تفسير القرآن :٤/٤٨٨.

٣) البحر المحيط :٥/٤١٠.

٤) ينظر: معالم التنزيل :٣/٢٦٢.

٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن :٧/٢٥٦.

٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم :٢/٢٤٥.

٧) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل :٢/٢٩٧.

٨) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم :٣/٢٥.

٩) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :٦/٢٨٨.

١٠) ينظر: التحرير والتنوير :٧/٢٥٠.

الحائري(٢)، والسيد محمد حسين الطباطبائي(٣) إلى أن دلالة ((النظر)) في الآية الكريمة هي ((التأمل والاعتبار)).

ووهم الباحث رياض علي حسين في أن الطبري رأى أن المعنى: ((أخـّر أمرهم)) (٤)، وليس كذلك، بل مراده ((آخِـرُ أمرهم)).

ومهما يكن من أمر، فإنّ ((النظر)) في الآية الكريمة: (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) هو ((التأمل والاعتبار))؛ فذكر عاقبة الإفساد في الاعتبار بأمرهم؛ لأنهم كانوا يفسدون في الأرض، ويستضعفون بني إسرائيل(٥).

۞ ومنه قوله ــ عزَّ وجلَّ ــ : (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ)(٦)؛ إذ ذهب غير واحد من المفسّرين ــ ممن اطلعتُ على آرائهم ــ إلى أن دلالة ((النظر)) في الآية الكريمة هي ((التأمل والاعتبار))؛ إذ قال الطبري: ((فانظر ــ يا محمد ــ بعين قلبك إلى عاقبة غدر ثمود بنبيهم صالح، كيف كانت؟ وما الذي أورثها اعتداؤهم وطغيانهم وتكذيبهم؟ فإن ذلك سنتنا فيمن كذب رسلنا وطغى علينا من سائر الخلق، فحذّر قومك من قريش؛ أن ينالهم بتكذيبهم إيـّاك، ما نال ثمود بتكذيبهم صالحاً من المثلات)) (٧).

وصرّح الطوسي بذلك قائلاً: ((يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: ((انظر)) يا محمد، وفكـّر كيف كان عاقبة مكرهم، أي: هؤلاء الكفار الذين كفروا ودمّرناهم... فلمّـا مكر أولئك الكفار بصالح (ع) ليقتلوه، ومـَنْ آمن ولم يتم مكرهم، وأدى مكرهم إلى هلاكهم وتدميرهم...)) (٨).

---

١) ينظر: في ظلال القرآن :٣/٢٦٥.

٢) ينظر: مقتنيات الدرر :٥/٢.

٣) ينظر: الميزان في تفسير القرآن :٨/١١٧.

٤) ينظر: ألفاظ التبليغ في القرآن الكريم من الله تعالى إلى الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم). دراسة دلالية. ((رسالة ماجستير)) :١٢٦.

٥) ينظر: الميزان في تفسير القرآن :٨/١١٧.

٦) النمل :٥١.

٧) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن :٥/٢١٦.

٨) التبيان في تفسير القرآن :٨/٩٦.

وفصّل أبو السعود في بيان دلالة ((النظر)) في الآية الكريمة، إذ قال: ((فتفكّر في أنه كيف كان عاقبة مكرهم... روي أنه كان لصالحٍ عليه السلام مسجد في الحجر في شعب يُصلّي فيه، فقالوا: زعم صالح أنه يفرغ مِنّا إلى ثلاثٍ فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث، فخرجوا إلى الشِّعب، وقالوا: إذا جاء يُصلّي قتلناه، ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم، فبعث الله تعالى صخرة من الهضبة حيالهم، فبادوا، فطبقت الصخرة عليهم فم الشِّعب، فلم يدر قومهم أين هم، ولم يدروا ما فُعِل بقومهم، وعذّب الله تعالى كُلاً في مكانه، ونجّى صالحاً ومَنْ معه، وقيل جاءوا بالليل شاهري سيوفهم، وقد أرسل الله تعالى الملائكة إلى دار صالح، فدمغوهم بالحجارة، يرون الحجارة ولا يرون رامياً (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ) أي: فيما ذُكر من التدمير العجيب بظلمهم (لآيَةً) لعبرة عظيمة (لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)))[١]. فهي مجرّد أخبار وصلت عما حدث معهم، ولم نرَ شيئاً منها، والمطلوب ((النظر))، أي: التفكر والاعتبار من خلالها.

وذهب كلٌّ من الطبرسي[٢]، والرازي[٣]، والقرطبي[٤]، وأبي حيّان[٥]، وابن كثير[٦]، والبيضاوي[٧]، والفيض الكاشاني[٨]، والشوكاني[٩]، والآلوسي[١٠]،

---

[١] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم :٦/٩٤.

[٢] ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن :٧/٥٣٤.

[٣] ينظر: تفسير ابن أبي حاتم :١١/١٦٢.

[٤] ينظر: الجامع لأحكام القرآن :١٣/١٩٥.

[٥] ينظر: البحر المحيط :٨/٤٧٧.

[٦] ينظر: تفسير القرآن العظيم :٦/٢٠٠.

[٧] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل :٤/٤٤٠.

[٨] ينظر: التفسير الصافي :٥/٦٨.

[٩] ينظر: فتح القدير :٥/٣٦٦.

والآلوسي(١)، ومحمد الشربيني الخطيب(٢)، والسيد محمد حسين الطباطبائي(٣) إلى إلى أن دلالة ((النظر)) في الآية الكريمة هي ((التأمل والاعتبار)).

ثالثاً: ((النظر)) بمعنى ((البصر ـ رؤية العين)) و((التأمـّل والاعتبار))

ورد ((النظر)) في القرآن الكريم دالاً على ((البصر ـ رؤية العين)) و((التأمـّل والتفكـّر والاعتبار)) في الوقت نفسه، جاعلاً من ((البصر ـ رؤية العين)) طريقاً إلى ((التأمـّل والتفكـّر والاعتبار)).

۞ ومما ورد منه(٤) قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

---

١) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :١٤/٤٩٨.

٢) ينظر: تفسير السراج المنير :١/٣٠٠٤.

٣) ينظر: الميزان في تفسير القرآن :١٥/١٩٢.

٤) ينظر: قوله تعالى: (قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبِينَ)، آل عمران :١٣٧، وقوله تعالى: (قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) الأنعام :١١، وقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) الأنعام :٩٩، وقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) الأعراف :١٨٥، وقوله تعالى: (قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ) يونس :١٠١، وقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) يوسف :١٠٩، وقوله تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) النحل :٣٦، وقوله تعالى: (قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَّنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً) طه :٩٧، وقوله تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) النمل :٦٩، وقوله تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) العنكبوت :٢٠، وقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) الروم :٩، وقوله تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ) الروم :٤٢، وقوله تعالى: (فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) الروم :٥٠، وقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً) فاطر :٤٤، وقوله تعالى: (أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ) غافر :٢١، وقوله تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ) غافر :٨٢، وقوله تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا) محمد :١٠، وقوله تعالى: (أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ) ق :٦، وقوله تعالى: (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ) عبس :٢٤، وقوله تعالى: (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ) الطارق :٥، وقوله تعالى: (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) الغاشية :١٧، والله أعلم.

الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)(١). ومعناه: ((أفليس قد ساروا في الأرض وسمعوا أخبار مَنْ أرسله الله من الأنبياء المبعوثين إلى خلقه، مثل إبراهيم وموسى وعيسى، فيعرفوا بذلك كيف كان عاقبة من كذب هؤلاء الرسل من قبلهم، وما نزل بهم من العذاب لكفرهم...)) (٢).

فبيّن القرآن الكريم أنه إذا ما أراد هؤلاء أن يعلموا عاقبة مخالفتهم دعوتك التي هي الدعوة إلى الله ـ والخطاب موجّه إلى النبي الأعظم محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فإن عليهم أن يسيروا ليروا آثار السابقين، ((فالسير والتجوال في الأرض لمشاهدة آثار الماضين وخراب دورهم ومدنهم بسبب العذاب الإلهي، أفضل درس لهم، درس حي وملموس للجميع... فليسيروا في الأرض ولينظروا آثار الذين من قبلهم، ثم ينظروا مستقبلهم من خلال سنن التأريخ)) (٣).

فنعى الله ـ تبارك وتعالى ـ على هؤلاء المشركين غفلتهم وجهالتهم، أي: ((أوصلت الجهالة والغفلة بهؤلاء المشركين، أنهم لم يتعظوا بما أصاب الجاحدين من قبلهم من عذاب دمّرهم تدميراً، وهؤلاء الجاحدين الذين دُمِّروا مازالت آثار بعضهم باقية وظاهرة على الأرض. وقومك ـ يا محمد ـ يمرُّون عليهم في الصباح والمساء وهم في طريقهم على بلاد الشام، كقوم صالح وقوم لوط عليهما السلام)) (٤). فينظرون في آثارهم، فيتأمّلوا ويتفكروا ويعتبروا (٥).

فالنظر في آثار الغابرين يهزُّ القلب، حتى قلوب المتجبرين ((ولحظات الاسترجاع الخيالي لحركاتهم وسكناتهم وخلجاتهم، وتصورهم أحياء يروحون في

---

[١] يوسف :١٠٩ .

[٢] التبيان في تفسير القرآن :٢٠١/٦.

[٣] ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :٣١٨/٧. وينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن :٢٩٣/١٦، وتفسير القمي :٥٦/٣، وتفسير الصافي :٣٦٠/٥، والمحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز :٥٢/٤.

[٤] التفسير الوسيط :٢٣٥٤/١.

[٥] ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن :٢٩٣/١٦، ومعالم التنزيل :٢٨٥/٤، والدر المنثور في التأويل بالمأثور :٤٦٤/٥.

هذه الأمكنة ويجيئون، ويخافون ويرجون، يطمعون ويتطلّعون، ثم إذا هم ساكنون، لا حسّ وحركة، أثارهم خاوية، طواهم الفناء وانطوت معهم مشاعرهم وعوالمهم وأفكارهم وحركاتهم وسكناتهم، ودنياهم الماثلة للعيان والمستكنة في الضمائر والمشاعر. إن هذه التأملات لتهزُّ القلب البشري هزّاً مهما يكن جاسياً غافلاً قاسياً، ومن ثـّمّ يأخذ القرآن بيد القوم ليوقفهم على مصارع الغابرين بين الحين والآخر))(١).

۞ ومنه قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ : (أَفَلَمْ يَنظُرُوا إلى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ)(٢)؛ إذ اتفقت كلمة المفسرين(٣) ـ ممن اطلعتُ على آرائهم ـ على أن المراد من ((النظر)) في الآية الكريمة هو ((البصر ـ رؤية العين)) أولاً؛ ليكون ـ في الوقت نفسه ـ طريقاً إلى ((التأمُّل والتفكر والاعتبار))؛ إذ قال الطوسي: ((ومعناه: ألم يفكروا في بناء هذه السماء وعظمها، وحسن تزيينها، فيعلموا أن لها بانياً بناها وصنعها، وأنه لابد من أن يكون قادراً عليها، وأنه لا يعجزه شيء؛ لأنه لا يقدر على مثل ذلك إلا القادر نفسه الذي لا يجوز عليه العجز ويعلمه؛ لأنه عالم بما يرون من إحكام الصنعة، وأنه الذي لا يخفى عليه خافية))(٤).

---

[١] في ظلال القرآن :٣٤٧/٤.

[٢] ق :٦.

[٣] ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن :٣٢٩/٢٢، وتفسير القمي :٢٠/٣، ومعالم التنزيل :٣٥٧/٧، وزاد المسير في علم التفسير :٤٠٩/٥، والتفسير الكبير :٢٢٣.٢١٤/١٤، والجامع لأحكام القرآن :٩/١٧، وتفسير القرآن العظيم :٣٦٩/٧، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :١٦٣/١٧، والتحرير والتنوير :٦٧/٢، والتفسير الوسيط :٢٨٩٧/١.

[٤] التبيان في تفسير القرآن :٣٤٨/٩.

فالمراد بـ((النظر)) في الآية الكريمة هو النظر المقترن بالتفكير الذي يدعو صاحبه إلى معرفة عظمة الخالق الذي خلق السماء الواسعة وما فيها من عجائب مذهلة وتناسق واستحكام ونظم ودقة[1].

وقد دلّ ((النظر)) في الآية الكريمة على ((البصر ـ رؤية العين)) و((التأمُّل والتفكر والاعتبار)) بدلالة قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ (تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ)[2] بعده، أي: ((تبصرة تكشف الحجب، وتنير البصيرة، وتفتح القلوب، وتصل الأرواح بهذا الكون العجيب، وما وراءه من إبداع وحكمة وترتيب... تبصرة ينتفع بها كلُّ عبد منيب، يرجع إلى ربه من قريب، وهذه هي الوصلة بين القلب البشري وإيقاعات هذا الكون الهائل الجميل. هذه هي الوصلة التي تجعل للنظر في كتاب الكون والتعرف إليه أثراً في القلب البشري، وقيمة في الحياة البشرية، هذه هي الوصلة التي يقسمها القرآن بين المعرفة والعلم، وبين الناس والكون الذي يعيشون فيه. فالناس قطعة من هذا الكون لا تصح حياتهم ولا تستقيم إلا حين تنبض قلوبهم على نبض هذا الكون، وإلا حين تقوم الصلة وثيقة بين قلوبهم وإيقاعات هذا الكون الكبير. وكل معرفة بنجم من النجوم، أو فلك من الأفلاك، أو خاصة من خواص النبات والحيوان، أو خواص الكون كلّه على وجه الإجمال وما فيه من عوالم حيّـة وجامدة إذا كانت هنالك عوالم جامدة أو شيء واحد جامد في هذا الوجود! كل معرفة ((علمية)) يجب أن تستحيل في الحال إلى إيقاع في القلب البشري، والى أُلفة مؤنسة بهذا الكون، والى تعارف يوثق أواصر الصداقة بين الناس والأشياء والأحياء، والى شعور بالوحدة التي تنتهي إلى خالق هذا الكون وما فيه ومَـنْ فيه. وكل معرفة أو علم أو بحث يقف دون هذه الغاية الحية

---

[1] ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :١٧/١٤.

[2] ق :٨.

الموجهة المؤثرة في حياة البشر، هي معرفة ناقصة، أو علم زائف أو بحث عقيم)) [١].

رابعاً ((النظر)) بمعنى ((الإحسان والإفاضة والعطف والرحمة))

ومنه قوله ـ تبارك وتعالى ـ : (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَـئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[٢]؛ إذ ذكر غير واحد من المفسرين أن دلالة ((النظر)) في الآية الكريمة هي ((الإحسان والإفاضة والعطف والرحمة))؛ إذ قال الطبري: (((وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ) يقول: ولا يعطف عليهم بخير؛ مقتاً من الله لهم، كقول القائل الآخر: (انـظـُر إليّ نـَظـَرَ اللهُ إليك) بمعنى: تعطـّف علي تعطف اللهُ عليك بخير ورحمة، وكما يقال للرجل: (لا سمع الله لك دعاءك)، يراد: لا استجاب الله لك، والله لا يخفى عليه خافية:

دعوت الله حتى خِـفـْـتُ أن لا   يكونَ اللهُ يَـسمعُ ما أقول[٣]

))[٤].

وقال الشريف الرضي حين تفسيره هذه الآية: ((وهذه استعارة، حقيقتها، ولا يرحمهم الله يوم القيامة، كما يقول القائل لغيره: انظر إليّ نظرة؛ لأن حقيقة النظر تقليب العين الصحيحة من جهة المرئي التماساً لرؤيته، وهذا لا يصح إلا على

---

[١] في ظلال القرآن :١٣/٧و١٤.

[٢] آل عمران :٧٧.

[٣] ينظر: النوادر في اللغة (لأبي زيد) :١٢٤، وخزانة الأدب :٣٦٣/٢.

[٤] جامع البيان في تأويل آي القرآن :٥٢٧/٢. وينظر: تنوير المقباس :٦٣/١.

الأجسام ومن يدرك بالحواس، ويوصف بالحدود والأقطار، وقد تعالى الله سبحانه عن ذلك علواً كبيراً)) (١).

فقوله ـ تبارك وتعالى ـ (وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ)، أي: لا يرحمهم ((كما يقول القائل لغيره: انظر إليّ، يريد: ارحمني، وفي ذلك دلالة على أن النظر مع تعديته بحرف (إلى) لا يفيد الرؤية؛ لأنه لا يجوز حملها في الآية على أنه لا يراهم بلا خلاف)) (٢).

ونفي النظر عن الكفار في هذه الآية ((مجاز عن الاستهانة بهم، والسخط عليهم، تقول: فلان لا ينظر إلى فلان، تريد نفي اعتداده به وإحساسه عليه)) (٣). والسبب لهذا المجاز ((أنّ مَن اعتدّ بالإنسان التفت إليه، وأعاد نظره إليه مرةً بعد أُخرى؛ فلهذا السبب صار نَظَرُ اللهِ عبارة عن الاعتداد والإحسان، وإن لم يكن ثَمّ نَظَرٌ، ولا يجوز أن يكون المراد من هذا النظر الرؤية؛ لأنه تعالى يراهم كما يرى غيرهم، ولا يجوز أن يكون المراد من النظر تقليب الحدقة إلى جانب المرئي؛ التماساً لرؤيته؛ لأن هذا من صفات الأجسام، وتعالى إلهنا عن أن يكون جسماً، وقد احتجّ المخالف بهذه الآية على أن النظر المقرون بحرف (إلى) ليس للرؤية، وإلا لزم في هذه الآية ألاّ يكون الله تعالى رائياً لهم، وذلك باطل)) (٤).

وقال الآلوسي في تفسيره هذه الآية: ((... وفرق بين استحالة فيمن يجوز عليه النظر المفسّر بتقليب الحدقة، وفيمن لا يجوز عليه ذلك، بأن أصله فيمن يجوز عليه الكناية؛ لأنّ مَن اعتدّ بالإنسان التفت إليه وأعاره نَظَرَ عينيه، ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والإحسان وإن لم يكن ثَمّ نَظَرٌ، ثم جاء

---

١) تلخيص البيان في مجازات القرآن :١٢٤. وينظر: إصلاح الوجوه والنظائر :٤٥٩، ومجمع البيان في تفسير القرآن :٤٦٤/١، والجامع لأحكام القرآن :١٥٨/٢.

٢) التبيان في تفسير القرآن :٥٠٧/٢. وينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن :٤٦٤/١.

٣) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل :٤٣٩/١. وينظر: البرهان في علوم القرآن ((للزركشي)) :٣٢٣/٢.

٤) التفسير الكبير :٢٦٦/٤.

فيمن لا يجوز عليه النظر مجرداً لمعنى الإحسان مجازاً، عما وقع؛ كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر)) (١).

ومهما يكن من أمر، فإن هذه الآية الكريمة تبيّن أن كل الذين يكتمون أحكام الله وما يحتاجه الناس من حقائق طلباً للرئاسة أو الثروة، قد ارتكبوا خيانة كبرى، وعليهم أن يعلموا أنهم باعوا حقيقة نفيسة بثمن بخس، وهي تجارة خاسرة، فتحدثت الآية عن عقاب مادي، ثم تعرّضت لعقاب معنوي سينال هؤلاء أشدّ من العقاب المادي، فتقول: (وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فالله ـ عزَّ وجلَّ ـ لا ينظر إليهم بعين لطفه، ((فالله ـ عزَّ وجلَّ ـ يوم القيامة يكلم المؤمنين، ولكنه لا يكلم أمثال هؤلاء، ولا ينظر إليهم بنظر الرحمة واللطف يوم القيامة (وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). ومن ذلك يعلم أن الله ـ تعالى ـ في ذلك اليوم يتكلّم مع عباده المؤمنين (سواء مباشرة أو بتوسط الملائكة) مما يجلب لهم الفرح والسرور، ويكون دليلاً على عنايته بهم ورعايته لهم، وكذلك النظر إليهم، فهو إشارة إلى العناية الخاصّة بهم، وليس المقصود النظر الجسماني)) (٢).

خامساً: ((النظر)) بمعنى ((الرؤية غير البصرية))

ورد ((النظر)) في القرآن الكريم دالاً على ((الرؤية غير البصرية)) (٣). ومنه قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ (قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى

---

١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :٩٩/٣. وينظر: البحر المحيط :٢٩١/٣.

٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :٤٩٣/١. وينظر: معالم التنزيل :٥٧/٢، وتفسير القرآن العظيم :٦٢/٢، وتفسير نور الثقلين :٣٩٨/١، وتفسير كنز الدقائق :١٣٣/٣.

٣) ينظر: قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً)، الكهف :١٩، وقوله تعالى: (قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) النمل :٢٧، وقوله تعالى: (اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ) النمل :٢٨، وقوله تعالى: (قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ) النمل :٣٣، وقوله تعالى: (قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ) النمل :٤١، وقوله تعالى: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) الصافات :١٠٢، وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) الحشر :١٨، والله أعلم.

رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)(١). وذكر المفسرون في دلالة ((النظر)) في الآية الكريمة آقوالاً أربعة(٢)، وهي:

أولاً: ((النظر)) بمعنى ((الرؤية غير البصرية))، وإليه ذهب جميع المفسرين ـ ممن اطلعت على آرائهم ـ ، إذ قال القمي: ((... (فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) يعني: حتى نرى، فوضع النظر مكان الرؤية)) (٣).

وقال الزمخشري مبيناً دلالة ((النظر)) في الآية الكريمة: ((... (فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه، وشكر النعمة وكفرانها؛ ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم)) (٤).

أما الطبرسي فقال: ((... (فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) أي: فيرى ذلك بوقوعه منكم؛ لأن الله تعالى لا يجازي عباده على ما يعلمه منهم، وإنما يجازيهم على ما يقع منهم... وقيل: يعلم ذلك، ومعناه: فيظهر معلومه، أي: يبتليكم بالنعمة ليظهر شكركم كما ابتلاكم بالمحنة ليظهر صبركم...))(٥).

وقال ابن عاشور في دلالة ((النظر)) في الآية الكريمة: ((ومعنى (فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) التحذير أن يعملوا ما لا يرضي الله تعالى، والتحريض على الاستكثار من الطاعة ليستحقّوا وصف المتقين؛ تذكيراً لهم بأنه علم بما يعملونه. فالنظر مستعمل في العلم بالمرئيات)) (٦).

ثانياً: ((النظر))، ويراد به ((النظر الذي يفيد العلم)).

---

١) الأعراف :١٢٩.

٢) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن :٤٥/١٣، وتفسير القمي :١٨/١١، وتفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل :٢٧٤/٢، ومجمع البيان في تفسير القرآن :٢٩٧/٤، أنوار التنزيل وأسرار التأويل :٣٠٦/٢، وفي ظلال القرآن :٢٨٧/٣، والتفسير الوسيط :١٦٧٣/١.

٣) تفسير القمي :١٨/١١.

٤) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وأسرار التأويل :٢٧٤/٢.

٥) مجمع البيان في تفسير القرآن :٢٩٧/٤.

٦) التحرير والتنوير :٤٢٣/٥. وينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن :٤٥/١٣، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل :٣٠٦/٢، وفي ظلال القرآن :٢٨٧/٣، والتفسير الوسيط :١٦٧٣/١.

ثالثاً: ((النظر))، ويراد به تقليب الحدقة نحو المرئي.

رابعاً: ((النظر))، ويراد به الانتظار.

ويبدو لي ـ والله أعلم ـ أن دلالة ((النظر)) في الآية الكريمة هي ((الرؤية غير البصرية))، وقوله ـ عزَّ وجلَّ ـ : (فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)، أي: ما يجري مجرى الحث لهم على التمسك بطاعة الله ـ تبارك وتعالى ـ ، ويراد به الرؤية غير البصرية، ويجب حمل اللفظ ههنا عليه.

أما ((النظر)) الذي يفيد العلم، أو ((النظر)) المراد به تقليب الحدقة نحو المرئي، أو الانتظار، فهو محال على الله ـ تبارك وتعالى ـ .

فإن قيل: ((إذا حملتم هذا النظر على الرؤية لزم الإشكال؛ لأن الفاء في قوله: (فَيَنظُرَ) للتعقيب، فيلزم أن تكون رؤية الله تعالى لتلك الأعمال متأخرة عن حصول تلك الأعمال، وذلك يوجب حدوث صفة الله تعالى))(١).

قلنا إنّ: ((تعلـُّق رؤية الله تعالى بذلك الشيء نسبة حادثة، والنسب والإضافات لا وجود لها في الأعيان، فلم يلزم حدوث الصفة الحقيقية في ذات الله تعالى، والله أعلم))(٢).

۞ ومنه قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ : (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)(٣).

فقد ذكر المفسرون ـ ممن اطلعتُ على آرائهم ـ لدلالة ((النظر)) في الآية الكريمة معاني ثلاثة، وهي:

أولاً: ((النظر)) بمعنى ((الرؤية غير البصرية))، وإليه ذهب الطبرسي(١)، وقال القمي: ((...(لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) يعني: حتى نرى، فوضع النظر مكان الرؤية))(٢).

---

١) التفسير الكبير :٢٢١/٧.

٢) المصدر نفسه :٢٢١/٧.

٣) يونس :١٤.

ثانياً: ((النظر)) بمعنى ((العلم))، وإليه ذهب الطوسي(٣)، والرازي(٤)، وقال الآلوسي: ((... (لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) أي: لنعلم أيّ عمل تعملون... ثم إن استعمال النظر بمعنى العلم مجاز حيث شُبِّه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه))(٥).

وقال سيد طنطاوي: ((... أي: ثم جعلناكم أيها المكلّفون باتباع النبي ـ صلى الله عليه وسلّم ـ خلفاء في الأرض من بعد أولئك الأقوام المُهْلَكين لنرى ونشاهد ونعلم أيّ عمل تعملون في خلافتكم فنجازيكم على ذلك الجزاء المناسب الذي تقتضيه حكمتنا وإرادتنا))(٦).

ثالثاً: ((النظر)) بمعنى ((الانتظار)). قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ((... إن جملة (لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) لا تعني النظر بالعين الباصرة قطعاً، ولا تعني التفكر والنظر القلبي؛ لأنّ الله ـ سبحانه ـ منزّه عن كليهما، بل المراد منها أنها حالة شبيهة بالانتظار، أي: إنّنا سنترككم وأنفسكم، ثم ننتظر ماذا تعملون؟))(٧).

ويبدو لي ـ والله أعلم ـ أن دلالة ((النظر)) في الآية الكريمة هي ((الرؤية غير البصرية))، ويكون المراد من قوله ـ تبارك وتعالى ـ : ((... (لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) أي: لنرى عملكم أين يقع من عمل أولئك تقتدون بهم فتستحقون من العقاب مثل ما استحقوه، أم تؤمنون فتستحقون الثواب، وإنّما قال: لننظر ليدلّ على أنه ـ سبحانه ـ يعامل العبد معاملة المختبر الذي لا يعلم الشيء، فيجازيه على ما يظهر منه دون ما قد علم أنه يفعله مظاهرةً في العدل، والنظر في الحقيقة

---

١) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٤٤/٥.

٢) تفسير القمي: ١٤/٢.

٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣٤٣/٥.

٤) ينظر: التفسير الكبير: ٢٤٣/٨.

٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٤٥٣/٧.

٦) التفسير الوسيط: ٢٠٨٩/١.

٧) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٣١٦/٦.

لا يجوز على الله ـ تعالى ـ ؛ لأنه إنـّما يكون بالقلب، وهو التفكر، وهو بالعين وهو تقليب الحدقة نحو المرئي التماساً لرؤيته مع سلامة الحاسـّة، وأحد هذين لا يجوز عليه سبحانه، وإنـّما يستعمل ذلك في صفاته على وجه المجاز والاتساع؛ فإنّ النظر إنـّما هو لطلب العلم، وهو سبحانه يعامل عباده معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه)) (١).

سادساً: ((النظر)) بمعنى ((الانتظار))

ورد ((النظر)) في القرآن الكريم دالاً على معنى ((الانتظار)) (٢). ومنه قوله ـ تبارك وتعالى ـ : (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ)(٣)، إذ ورد ((النظر)) في صيغتين، إحداهما: فعل أمر على صيغة ((افتعل))، قال ـ عزَّ وجلَّ ـ ((وانتظر))، والأُخرى: اسم فاعل، جمع مذكر سالم، قال ـ عزَّ وجلَّ ـ : ((مُـنتـَظـِرُون)).

---

١) البيان في تفسير القرآن :١٤٤/٥.

٢) ينظر: قوله تعالى: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ)، البقرة :٢١٠، وقوله تعالى: (وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) البقرة :٢٨٠، وقوله تعالى: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ) الأنعام :١٥٨، وقوله تعالى: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ) الأعراف :٥٣، وقوله تعالى: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) النحل :٣٣، وقوله تعالى: (اسْتِكْبَاراً فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً) فاطر :٤٣، وقوله تعالى: (مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ) يس :٤٩، وقوله تعالى: (وَمَا يَنظُرُ هَؤُلَاء إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ) ص :١٥، وقوله تعالى: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) الزخرف :٦٦، وقوله تعالى: (فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ) محمد :١٨، والله أعلم.

٣) السجدة :٣٠.

وذكر غير واحدٍ من المفسرين أن صيغتي ((النظر))، وهما ((انتظر))، و((منتظرون)) تدلان على ((الانتظار))[1]. قال الطبري : ((وقوله: (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلّم: فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين بالله، القائلين لك: متى هذا الفتح؟ المستعجليك بالعذاب، وانتظر ما الله صانع بهم، إنهم منتظرون ما تعدهم من العذاب ومجيء الساعة))[2].

وفصّل الرازي في بيان معنى ((الانتظار))، فقال: ((وقوله (وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ) يحتمل وجوهاً أحدها: وانتظر هلاكهم فإنهم ينتظرون هلاكك. وعلى هذا فرق بين الانتظارين؛ لأن انتظار النبي ـ صلى الله عليه وسلّم ـ بأمر الله تعالى بعد وعده، وانتظارهم بتسويل أنفسهم والتعويل على الشيطان. وثانيها: وانتظر النصر من الله فإنّهم ينتظرون النصر من آلهتهم، وفرق بين الانتظارين، وثالثها: وانتظر عذابهم بنفسك، فإنهم ينتظرونه بلفظهم استهزاءً كما قالوا: (فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا) [الأعراف :٧٠]، وقالوا: (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)[النمل :٧١]، إلى غير ذلك))[3].

وصرّح ابن كثير بأن ((انتظر)) و((منتظرون)) يدلان على ((الانتظار)) قائلاً: ((فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ) أي: أعرض عن هؤلاء المشركين وبلّغ ما أُنزل إليك من ربك... وانتظر فإن الله سينجز لك ما وعدك، وسينصرك على مَنْ خالفك؛ إنه لا يخلف الميعاد. وقوله (إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ) أي: أنت منتظر، وهم منتظرون، ويتربصون بك الدوائر... وسترى أنت عاقبة صبرك عليهم

---

[1] ينظر: التبيان في تفسير القرآن :٢٩٦/٨، وتفسير القمي :٤١/٤، ومعالم التنزيل :٣١٠/٦، والدر المنثور في التأويل بالمأثور :١٢٠/٨، والتفسير الصافي :١٦٠/٥، والجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين :١٢٧/٥، وفتح القدير :١٤/٦، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :٢٧/١٦، وفي ظلال القرآن :٢٨١٦/٢١، وتقريب القرآن إلى الأذهان :١٢١/٢١، والكاشف :١٨٧/١٦، ومن وحي القرآن :٢٥٦/١٨ و٢٥٧.

[2] جامع البيان في تأويل آي القرآن :١٩٨/٢.

[3] التفسير الكبير :٢٣١/١٢.

وعلى أداء رسالة الله، في نصرتك وتأييدك، وسيجدون غبّ ما ينتظرونه فيك وفي أصحابك، من وبيل عقاب الله لهم، وحلول عذابه عليهم)) (١).

ومهما يكن من أمر فإنّ ((النظر)) في الآية الكريمة في الصيغتين ((انتظر))، و((منتظرون)) يدلّ على ((الانتظار))، والمراد ((﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ الآن، حيث لم تؤثر في هؤلاء البشارة ولا الإنذار، ولا هم أهل منطق واستدلال ليعرفوا الله سبحانه بمشاهدة الآثار الإلهية في خفايا الخلقة فيعبدوه، وليس لهم وجدان حيٌّ يترنـّم في أعماقهم بنغمة التوحيد فيسمعونها، فأعرض عنهم، وانتظر رحمة الله سبحانه، ولينتظروا عذابه، فإنهم لا يستحقون سواه)) (٢).

۞ ومنه قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (٣). وقد ذكر المفسرون ـ ممن اطلعتُ على آرائهم ـ للـ((نظر)) في الآية الكريمة ((انظرونا)) ثلاثة معانٍ، وهي:

أولاً: ((انظرونا)) بوصل الهمزة وقطعها بمعنى ((انتظرونا)) (٤)، فيقال: ((انظرني)) بوصل الهمزة، أي ((انتظرني))، فـ((انظرونا)) في الآية بمعنى ((انتظرونا))؛ لأنه يسرع بالمؤمنين إلى الجنة كالبروق الخاطفة، والمنافقون مشاة، وهذه الحال إنما تقع عند مسير المؤمنين إلى الجنة. ويقال ـ أيضاً ـ : ((أنْظِرْني)) بقطع الهمزة، أي ((انتظرني))، قال عمرو بن كلثوم:

---

١) تفسير القرآن العظيم :٣٧٤/٦.

٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :١٤٤/١٣.

٣) الحديد :١٣.

٤) ينظر: تفسير مجاهد :٦٥٧/٢، وجامع البيان في تأويل آي القرآن :١٨٠/٢٣، والتبيان في تفسير القرآن :٢٢٦/١، ومعالم التنزيل :١٣٣/١، وزاد المسير في علم التفسير :٤٨٦/٥، وتفسير ابن أبي حاتم :٢٨٣/١٢، وتفسير القرآن العظيم :٤٥/١، والدر المنثور في التأويل بالمأثور :٤١٩/٩، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم :١٧٢/٢، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :٤٦٢/١٤، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :٣٩/١٨.

أبا هندٍ فلا تَعجلْ علينا   وأنـْظِـرنا نـُخبرك اليقينا(١)

ثانياً: ((أنظرونا)) بقطع الهمزة، بمعنى ((أخـّرونا)) (٢)، أي أخـّرونا ولا تعجلوا علينا، واستأخروا نستضئ بنوركم، أي: أمهلونا، واجعلونا في آخركم ولا تستبقونا بحيث تفوتوننا ولا نلحق بكم.

ثالثاً: ((انظرونا)) بمعنى ((انظروا إلينا))؛ لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم، والنور بين أيديهم، فيستضيئون به، وهذه الحال إنما تقع عند الموقف، وقد انفرد الرازي بذكر هذا المعنى(٣).

فهذه الاحتمالات من هذا الباب ثلاثة: ((أحدها: أن يكون الناس كلهم في الظلمات، ثم إنه تعالى يعطي المؤمنين هذه الأنوار، والمنافقون يطلبونها منهم. وثانيها: أن يكون الناس كلهم في الأنوار، ثم إن المؤمنين يكونون في الجنـّات، فيمرُّون سريعاً، والمنافقون يبقون وراءهم فيطلبون منهم الانتظار. وثالثها: أن يكون المؤمنون في النور، والمنافقون في الظلمات، ثم المنافقون يطلبون النور مع المؤمنين)) (٤).

ومهما يكن من أمر، فما يبدو لي ـ والله أعلم ـ أن دلالة ((النظر)) في الآية الكريمة هي: ((الانتظار))؛ لأن السياق: ((يفيد أنهم اليوم في ظلمة أحاطت بهم سرادقها، وقد أُلجئوا إلى المسير نحو دارهم التي يخلدون فيها، غير أن المؤمنين والمؤمنات يسيرون بنورهم الذي يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، فيبصرون الطريق

---

١) ديوانه :٢٤.

٢) ينظر: تفسير مجاهد :٦٥٧/٢، وجامع البيان في تأويل آي القرآن :١٨٠/٢٣، والتبيان في تفسير القرآن :٢٢٦/١، ومعالم التنزيل :١٣٣/١، وزاد المسير في علم التفسير :٤٨٦/٥، وتفسير ابن أبي حاتم :٢٨٣/١٢، وتفسير القرآن العظيم :٤٥/١، والدر المنثور في التأويل بالمأثور :٤١٩/٩، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم :١٧٢/٢، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :٤٦٢/١٤، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :٣٩/١٨.

٣) ينظر: التفسير الكبير :٢٦١/٢.

٤) المصدر نفسه :٢٦١/٢.

ويهتدون إلى مقاماتهم، وأما المنافقون والمنافقات فهم مغشيُّون بالظلمة لا يهتدون سبيلاً، وهم مع المؤمنين كما كانوا في الدنيا معهم ومعدودين منهم، فيسبق المؤمنون والمؤمنات إلى الجنة، ويتأخر عنهم المنافقون والمنافقات في ظلمة تغشاهم، فيسألون المؤمنين والمؤمنات أن ينتظروهم حتى يلحقوا بهم، ويأخذوا قبساً من نورهم ليستضيئوا به في طريقهم))(١).

سابعاً: ((النظر)) بمعنى ((الإمهال والتأخير))

ورد ((النظر)) في القرآن الكريم دالاً على ((الإمهال والتأخير)) (٢)، ومنه قوله ـ تبارك وتعالى ـ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ْوَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (٣). وقبل أن أُبيّـن دلالة ((النظر)) في الآية الكريمة أقول: إن المفسرين ذكروا أن السبب الذي لأجله وقع النهي عن كلمة ((راعنا)) قيل فيه أقوال: أحدها: ما قاله قتادة وعطية: إنها كلمة كانت تقولها اليهود على وجه الاستهزاء. الثاني: وقال عطاء: هي كلمة كانت الأنصار تقولها في

---

١) الميزان في تفسير القرآن :١٨٤/١٩.

٢) ينظر: قوله تعالى: (خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ)، البقرة :١٦٢، وقوله تعالى: (خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ) آل عمران :٨٨، وقوله تعالى: (مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً) النساء :٤٦، وقوله تعالى: (وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِيَ الأمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ) الأنعام :٨، وقوله تعالى: (قَالَ أَنظِرْنِي إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) الأعراف :١٤، وقوله تعالى: (قَالَ إِنَّكَ مِنَ المنظَرِينَ) الأعراف :١٥، وقوله تعالى: (أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ) الأعراف :١٩٥، وقوله تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللّهِ فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ) يونس :٧١، وقوله تعالى: (مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ) هود :٥٥، وقوله تعالى: (مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَا كَانُواْ إِذاً مُّنظَرِينَ) الحجر :٨، وقوله تعالى: (قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) الحجر :٣٦، وقوله تعالى: (قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ) الحجر :٣٧، وقوله تعالى: (وَإِذَا رَأى الَّذِينَ ظَلَمُواْ الْعَذَابَ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ) النحل :٨٥، وقوله تعالى: (بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) الأنبياء :٤٠، وقوله تعالى: (فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ) الشعراء :٢٠٣، وقوله تعالى: (قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) السجدة :٢٩، وقوله تعالى: (قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) ص :٧٩، وقوله تعالى: (قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ) ص :٨٠، وقوله تعالى: (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ) الدخان :٢٩، والله أعلم.

٣) البقرة :١٠٤.

الجاهلية، فنهوا عنها في الإسلام. الثالث: وقال أبو العالية: إن مشركي العرب كانوا إذا حدّث بعضهم بعضاً، يقول أحدهم لصاحبه: ارعنا سمعاً، فنهوا عن ذلك. الرابع: قال السدي: كان ذلك كلام يهوديٍّ بعينه، يقال له: رفاعة بن زيد، يريد بذلك الرعونة، فنهي المسلمون عن ذلك. الخامس: وقال أبو علي: قد بيّـن الله عزَّ وجلَّ أنها كلمة كانت اليهود تلوي بها ألسنتهم في قوله: (مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ) [النساء :٤٥]، و(قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا) [البقرة :٩٣]، و(وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ) [النساء :٤٥]. وهو قول ابن عباس وقتادة. وقيل: (لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا) من المراعاة والمكافأة، فأُمروا أن يخاطبوا النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلـّم ـ بالتوقير والتعظيم، أي: لا تقولوا: راعنا سمعك حتى نفهمك وتفهم عنـّا، بل قولوا: ((انظُرْنَا))[١].

وقد ذكر المفسرون لـ((النظر)) في الآية الكريمة ((انظُرْنَا)) معاني ستة، وهي:

أولاً: ((انظُرْنَا)) و((أنظِرْنَا)) بوصل الهمزة وقطعها بمعنى الإنظار ((التأخير والإمهال))، أي: أمهلنا، وتأخـّر قليلاً؛ حتى نفهم ونتبيـّن ما تعلمناه.

ثانياً: ((انظُرْنَا)) بمعنى ((انتظرنا)).

ثالثاً: ((انظُرْنَا)) بمعنى ((أقبِـلْ علينا، وارعَ أحوالنا)).

رابعاً: ((انظُرْنَا)) بمعنى ((اسمع منـّا))، أي: اسمع منـّا كما نستمع منك.

خامساً: ((أنظِـرْنَا)) بقطع الهمزة بمعنى ((أخـّـرنا))، وضعـّف الطبري هذا المعنى؛ لأن أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلـّم ـ إنما أُمروا بالدنو منه ـ صلى الله عليه وآله وسلـّم ـ لا بالتأخـّر عنه، ولا بمسألته تأخيرهم عنه.

---

[١] ينظر: تفسير الإمام العسكري :١٢، وجامع البيان في تأويل آي القرآن :٤٦١/٢، والتبيان في تفسير القرآن :٣٨٥/١، وتفسير جوامع الجامع :١٣٣/١، وتفسير القرآن العظيم :٢٧٣/١، وتفسير كنز الدقائق ؛٣٢٤/١، وتفسير السراج المنير :١٨٣/١، وفي ظلال القرآن :٧٣/١.

سادساً: ((انظُرْنَا)) بمعنى ((فهـِّمْنا وبيـّن لنا)) يا محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلـّم ـ[1].

ويبدو لي ـ والله أعلم ـ أن دلالة ((النظر)) في الآية الكريمة ((انظُرْنَا)) هي ((الإمهال والتأخير))؛ وذلك أن السياق العام للآية يُقرّب منه، فقد ذُكر في سبب نزولها عن ابن عباس أن الصحابة ((كانوا يطلبون من رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلـّم ـ لدى تلاوته الآيات وبيانه الأحكام الإلهية أن يتمهـّل في حديثه حتى يستوعبوا ما يقوله، وحتى يعرضوا عليه أسئلتهم، وكانوا يستعملون لذلك عبارة ((راعنا)) أي: أمهلنا. واليهود صوّروا معنى هذه الكلمة لتكون من ((الرعونة))، فتكون راعنا بمعنى اجعلنا رعناء، واتخذوا ذلك وسيلة للسخرية من النبي والمسلمين. والآية تطلب من المسلمين أن يقولوا ((انظُرْنَا)) بدلاً من ((راعنا)) لسد الطريق أمام طعن الأعداء))[2].

۞ ومنه قوله ــ تبارك وتعالى ـ : (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللّهِ فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُون)[3]. فقد اتـفـقـت كلمة المفسرين ـ ممن اطلعتُ على آرائهم ـ[4] على أن معنى ((النظر)) في الآية الكريمة (وَلاَ تُنظِرُون) هو ((الإمهال والتأخير))؛ إذ قال الطوسي: ((أمر

---

[1] ينظر: تفسير الإمام العسكري :١٢، وجامع البيان في تأويل آي القرآن :٤٦١/٢، والتبيان في تفسير القرآن :٣٨٥/١، وتفسير جامع الجوامع :١٣٣/١، وتفسير القرآن العظيم :٢٧٣/١، وتفسير كنز الدقائق :٣٢٤/١، وتفسير السراج المنير :١٨٣/١، وفي ظلال القرآن :٧٣/١.

[2] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :٣٢٤/١.

[3] يونس :٧١.

[4] ينظر: تنوير المقباس :٢٢٦/١، وجامع البيان في تأويل آي القرآن :١٥١/١٥، وتفسير جامع الجوامع :١٦٥/٢، ومعالم التنزيل :١٣٤/٤، وتفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل :٣٩/٣، والتفسير الكبير :٣٢٦/٨، والبحر المحيط :٣٤١/٦، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل :٤١/٣، والدر المنثور في التأويل بالمأثور :٢٥٧/٥، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم :٢٩١/٣، والتفسير الصافي :٤٧٢/٢، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :٧٩/٨، وتفسير السراج المنير :١٤٩٨/١، وفي ظلال القرآن :١٧٣/٤، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :٥٠٤/٦.

الله تعالى نبيه ـ صلى الله عليه وآله ـ أن يقرآ على هؤلاء الكفار أخبار نوح ـ عليه السلام ـ حين قال لقومه (قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي) بين أظهركم وتذكيري إيّاكم بآيات الله وحججه، وهممتم بقتلي وأذاي فافعلوا ما بدا لكم؛ فإني على الله توكلت... وليكن أمركم ظاهراً مكشوفاً، ولا يكون مغطىً مستوراً... ثم افعلوا ما تريدون، على وجه التهديد لهم، وأنه إذا كان الله ناصره، وعليه توكله لا يبالي بمـَنْ عاداه وأراد به السوء؛ فإن الله يكفيه أمره... ومعنى (وَلاَ تُنظِرُون) ولا توخـّرون)) (١).

فالإنظار: التأخير، وحذفت ياء المتكلم من (تـُنظِرُون) للتخفيف، وهو حذف كثير في فصيح الكلام، وبقاء نون الوقاية مشعر بها (٢).

ومراده ـ عزَّ وجلَّ ـ ثم احكموا بما تريدون من أحكام، ولا تتركوا لي مهلة في تنفيذها، بل نفـّذوها في الحال، ولا تؤخروني ساعةً واحدة (٣).

ثامناً: ((النظر)) بمعنى ((توقـّع الشيء))

جاء ((النظر)) في القرآن الكريم بمعنى ((توقـّع الشيء)) في قوله ـ تبارك وتعالى ـ : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) (٤). وقد اختلف المفسرون في دلالة ((النظر)) في الآية الكريمة، فمنهم مـَنْ جعله بمعنى ((الرؤية البصرية)) ؛ محتجاً بأن الفعل ((نـَظـَر)) إن تعدّى بحرف الجر ((إلى)) فهو يفيد ((الرؤية البصرية))، وإليه ذهب كلٌّ من مجاهد(٥)، والبغوي(٦)، وابن الجوزي(١)، وابن كثير(٢)، والبيضاوي(٣)،

---

١) التبيان في تفسير القرآن :٤٠٢/٥.

٢) ينظر: التحرير والتنوير :٣٦/٧.

٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم :٢٩٣/٣، والتفسير الوسيط :٢١٤٠/١.

٤) القيامة :٢٢ و٢٣.

٥) ينظر: تفسير مجاهد :٧٠٨/٢.

٦) ينظر: معالم التنزيل :٣٦٦/٨.

والبيضاوي(٣)، والسيوطي(٤)، وأبي السعود(٥)، والشوكاني(٦)، والآلوسي(٧)، ومحمد الشربيني الخطيب(٨).

ومنهم مـَنْ قال بأن ((النظر)) في الآية الكريمة بمعنى ((توقـّع الشيء))؛ محتجـّاً بأن الفعل ((نـَظـَرَ)) إن تعدّى بحرف الجر ((إلى)) فإنه يدل على معنى ((توقـّع الشيء)) كما يدل على ((الرؤية البصرية))، بيد أنه في هذه الآية لا يدل إلا على ((توقـّع الشيء))؛ لاستحالة الرؤية البصرية عند هؤلاء لله ـ تبارك وتعالى ـ ، وإليه ذهب كلٌّ من القمي(٩)، والشريف الرضي(١٠)، والطبرسي(١١)، والطوسي(١٢)، والحويزي(١٣)، والسيد محمد حسين الطباطبائي(١٤)، والشيخ ناصر مكارم الشيرازي(١٥).

والحق أن منشأ الخلاف بين المفسرين في بيان دلالة ((النظر)) في الآية الكريمة عائد إلى مسألة كثر الجدال فيها، ونشأ خلاف كبير بين المسلمين حولها،

---

١) ينظر: زاد المسير في علم التفسير :٣٨٧/٢.

٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم :٣٠٩/٣ و٣١٠.

٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل :٣٥٠/٥.

٤) ينظر: الدر المنثور في التأويل بالمأثور :١٢/٤، و١٤٩/١٠.

٥) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم :٤١٦/٦.

٦) ينظر: فتح القدير :٣٦٥/٧.

٧) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :٦٥/١١ و٤٨٠/٢١ و٤٨١.

٨) ينظر: تفسير السراج المنير :٩٦٠/١.

٩) ينظر: تفسير القمي :٨٤/٢.

١٠) ينظر: حقائق التأويل في متشابه التنزيل :٤٥١/١.

١١) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن :١٧٦/١٠ و١٧٧.

١٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن :٢٢٦/١، و٢٢٤/٤، و١٨٩/١٠.

١٣) ينظر: تفسير نور الثقلين :٦٣/٨.

١٤) ينظر: الميزان في تفسير القرآن :١٢/٣ و٢٤، و١٣٣/٨ و١٣٥ و١٤٣، و٦١/٢٠ و٦٤.

١٥) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :٤١٣/٤، و٢٢٠/١٩.

وهي مسألة ((رؤية الله ــ عزَّ وجلَّ ــ)). وسأعرض لها بإيجاز ــ ما أمكنني ذلك ــ ، فأقول:

أجمع الإمامية(١)، وتبعهم المعتزلة على امتناع رؤية الله ــ تبارك وتعالى وتعالى ــ بالبصر في الدنيا والآخرة، وخالفهم في ذلك المجسّمة من الأشاعرة والكرّامية(٢)، فجوّزوا رؤيته ــ عزَّ وجلَّ ــ لاعتقاد أنه ــ تعالى ــ جسم، ويثبتون له الجهة، والأشاعرة ــ مع عدّ أنفسهم من أهل التنزيه، وتحاشيهم عن إثبات الجسمية والجهة له سبحانه ــ قالوا برؤيته يوم القيامة، وأنه ينكشف للمؤمنين انكشاف القمر ليلة البدر(٣).

وسأعرض ــ بإيجاز ــ أدلة كلٍّ من الفريقين(٤)، وكما يأتي:

أولاً: أدلة الإمامية والمعتزلة على امتناع الرؤية.

استدلّ الإمامية والمعتزلة على امتناع رؤية الله ــ عزَّ وجلَّ ــ ببراهين نقلية، وعقلية. أما البراهين النقلية فهي صنفان:

الأول: الكتاب العزيز.

الثاني: أخبار السنّة المطهّرة.

فمن الكتاب العزيز آيات كثيرة، منها:

١ ـ قوله ــ تعالى ــ : (لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (٥).

---

١) أُطلق على الإمامية مصطلح ((العدلية))؛ لتنزيههم البارئ ـ عز وجل ـ في قبال غيرهم ممَّنْ نسب إليه الجسمية والجهة.

٢) أصحاب أبي عبدالله محمد بن كرّام. ينظر: الملل والنحل ((للشهرستاني)) :١٠٨/١.

٣) ينظر: شرح أصول الكافي :١٦١ ـ ١٩٦، وبحار الأنوار :٦٠/٤، والإلهيات على هدى الكتاب والسنّة والعقل :١٢٥/٢، والفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية :١٢٦/١، والتوحيد (بحوث في مراتبه ومعطياته) ((للسيد كمال الحيدري)) :٤٨٥/٢و٤٨٦، ودروس في العقيدة الإسلامية ((لمحمد تقي مصباح اليزدي)) :٩٨و٩٩.

٤) المصادر أنفسها.

٥) الأنعام :١٠٣.

ووجه الاستدلال بالآية المباركة: أنه ـ سبحانه ـ لا تراه العيون؛ لأنّ الإدراك متى قُـرنَ بالبصر لم يُـفهم منه إلا الرؤية، كما أنه إذا قـُرنَ بآلة السمع، فقيل: أدركت بأذني، لم يفهم منه إلا السماع، وكذلك إذا أُضيف إلى كلّ واحدٍ من الحواس أفاد أن تلك الحاسة آلة فيه، فقولهم: أدركته بفمي معناه: وجدت طعمه، وأدركته بأنفي: وجدت رائحته، فمعنى أنه ـ سبحانه ـ يَـرى ولا يُـرى باعتبار أن الموجودات منها ما يَـرى ويُـرى كالأحياء، ومنها ما يُـرى ولا يَـرى كالجمادات والأعراض المدرَكة، ومنها ما لا يُـرى ولا يَـرى كالأعراض غير المدركة، فالله ـ سبحانه ـ خالف جميعها، وتفرّد بأنه ـ عزَّ وجلَّ ـ يرى ولا يُـرى.

٢ ـ قوله ـ تعالى ـ : (وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إلى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ)[١].

ووجه الاستدلال بالآية المباركة: قوله ـ تعالى ـ : (لَن تَرَانِي)؛ إذ إنّ أداة ((لن)) تفيد النفي الأبدي، فلو كان ـ سبحانه ـ ممكن الرؤية بحاسة البصر لكان الأنبياء والأولياء أولى الناس برؤيته؛ ولأن موسى ((عليه السلام)) لم يره ببصره فلا يراه غيره بطريق أولى، فثـَبـُـت أنه ـ تعالى ـ ليس مرئياً بالبصر.

فضلاً عن ذلك فإنّ ((لن)) عند إطلاقها تفيد النفي الأبدي، وإلا لكان ـ سبحانه ـ قيّـده بقيد ((في الدنيا))، فعدم تقييده بقيد يبقى الإطلاق على شموله، فيـَـثـْبـُـتُ بذلك عدم إمكان رؤيته في الدارين.

---

[١] الأعراف :١٤٤.

٣ ـ قوله ـ تعالى ـ (وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءنَا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوّاً كَبِيراً) (١).

ووجه الاستدلال بالآية المباركة: أنه لو كانت الرؤية جائزة لم يكن التماسها عتوّاً؛ لأنّ مَـنْ سأل الله ـ سبحانه ـ نعمةَ في الدنيا لم يكن عاتياً، ولا يُـعدُّ استعظاماً واستفظاعاً؛ لأن كل ذلك الاستعظام والاستفظاع لا يناسب كونه أمراً ممكناً ونعمة من نعمه ـ سبحانه ـ يكرّم بها عباده في الآخرة.

٤ ـ قوله ـ تعالى ـ (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِـهِ عِلْماً) (٢).

ووجه الاستدلال بالآية المباركة: أنه لو صحت الرؤية البصرية فلا تخلو من أمرين: إما أن تقع على الكل، وإما أن تقع على الجزء، وكلاهما يعدّان نوع إحاطة به ـ تعالى ـ ، مع أنه في الآية نفي الإحاطة بكلا قسميها، فعدم الإحاطة به غير مقدور حتى الإحاطة المعنوية الكلية طبقاً للإطلاق المندرج في الآية، ولا يمكن تقييده بوقت دون آخر؛ لأن الإطلاق بعدم الإحاطة حكم عقلي لا يجوز تقييده؛ لأن الأحكام العقلية غير قابلة للتخصص بزمان دون آخر.

فضلاً عن ذلك فإنّ القول بجواز إحاطته بالعين خـُلـْف كونه محيطاً لقوله ـ عزَّ وجلَّ ـ : (وَكَانَ اللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً) (٣).

ومن أخبار السنــّة المطهــّرة:

١ ـ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ((عليه السلام)): ((وكلـَّت عن إدراكه طروف العيون)) (٤).

---

١) الفرقان :٢٢.

٢) طه: ١١٠.

٣) النساء :١٢٦.

٤) بحار الأنوار :٢٦٦/٤، والتوحيد ((للصدوق)) :٦٤.

٢ ـ وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ((عليه السلام)): ((هو الله الحق المبين، أحقُّ وأبين مما تراه العيون))(١).

٣ ـ وعن الإمام الحسين ((عليه السلام)): ((بل هو الله ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير))(٢).

٤ ـ عن الإمام جعفر الصادق ((عليه السلام)): ((إن الله عظيم رفيع لا يقدر العباد على صفته، ولا يبلغون كنه عظمته، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير... فالله تبارك وتعالى داخل في كل مكان، وخارج من كل شيء... لا إله إلا هو العلي العظيم))(٣).

أما البراهين العقلية فكثيرة، منها:

١ ـ إن الرؤية إنما تصح لمن كان مقابلاً أو في حكم المقابل، والمقابلة إنما تتحقق في الأشياء ذوات الجهة، والله ـ تعالى ـ منزّه عنها فلا يكون مرئياً.

٢ ـ إن الرؤية إما أن تقع على الذات كلها أو على بعضها. فعلى الأول يلزم أن يكون المرئي محدوداً متناهياً محصوراً شاغلاً ناحية من النواحي، وخلو النواحي الأُخرى منه ـ تعالى ـ . وعلى الثاني يلزم أن يكون مركّباً متحيّزاً ذا جهة إلى غير ذلك من التوالي الفاسدة، المرفوضة في حقه ـ سبحانه ـ .

---

(١) المصدران أنفسهما.

(٢) المصدران أنفسهما.

(٣) المصدران أنفسهما. وتحف العقول :٣٥. ولمزيد من أخبار السنّة المطهرة: ينظر: الإلهيات على هدى الكتاب والسنّة والعقل: ١٣٩/٢ و١٤٠، والفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية :١/١٣٠.١٣٣، والتوحيد (بحوث في مراتبه ومعطياته) ((للسيد كمال الحيدري)) :٤٨٨.٤٩٢.

٣ ـ إن الرؤية لا تتحقق إلا بانعكاس الأشعة من المرئي إلى أجهزة العين، وهو يستلزم أن يكون ـ سبحانه ـ جسماً ذا أبعاد، ومعرضاً لعوارض وأحكام جسمانية، وهو المنزه عن ذلك كلّه.

٤ ـ إن الرؤية بأجهزة العين نوع إشارة إليه بالحدقة، وهو ـ سبحانه ـ منزّه عن الإشارة. فإنّ كل مرئي في جهة يشار إليه بأنه هنا أو هناك، ويصح أن يقال: إنه مقابل للرائي أو في حكمه، وهذا المعنى منتفٍ في حقه ـ سبحانه ـ .

وقبل أن أذكر أدلة القائلين بجواز رؤية الله ـ تبارك وتعالى ـ أُشير إلى مسألتين:

إحداهما: أن القائلين بجواز الرؤية انقسموا على فرقتين:

الأولى: ((مجسّمة)) يقولون بالرؤية البصرية من دون تنزيه للخالق العظيم.

الثانية: ((منزِّهة)) يقولون بالرؤية مع التنزيه عن المادة والماديات.

والفرقة الثانية انقسمت على قسمين:

الأول: فرقة تستند إلى أحكام النقل مدعوماً بالعقل. ومنها الرازي، إذ قال: ((الله يصح أن يكون مرئياً لنا خلافاً لجميع الفرق... فإن لقائل أن يقول: إن أردت بالرؤية الكشف التام فذلك لا نزاع في ثبوته؛ لأن المعارف تصير يوم القيامة ضرورية، وإن أردت بها الحالة التي نجدها من أنفسنا عند إبصارنا الأجسام فذلك مما لا نزاع في انتفائه... وإن أردت به أمراً ثالثاً فلابدّ من إفادة تصوّره فإنّ التصديق مسبوق بالتصور لأنه إذا علمنا الشيء حال ما لم نره ثم رأيناه، فإنا ندرك تفرقة بين الحالين، وقد عرفت أن تلك التفرقة لا يجوز عودها إلى ارتسام الشبح في العين، ولا إلى خروج الشعاع منها، فهي عائدة إلى حالة أُخرى مسماة بالرؤية، فندّعي أن تعلّق هذه الصفة بذات الله جائز))(١).

---

(١) المحصول في علم أُصول الفقه :٣١٦. وينظر: التفسير الكبير :١٢٦/١٣.

الثاني: فرقة تستند إلى أحكام العقل وحده، ومنها سيف الدين الآمدي، إذ قال: ((لسنا نعتمد في هذه المسألة على غير مسلك العقل، إذ ما سواه لا يخرج عن الظواهر السمعية، وهي مما يتقاصر عن إفادة القطع واليقين، فلا يذكر إلا على سبيل التقريب)) (١).

والمسألة الأخرى: اتفق الأشاعرة على أن رؤيته ـ عزَّ وجلَّ ـ تكون يوم القيامة، كما عبّر عن ذلك أعلامهم، ومنهم:

١ ـ الشيخ أبو الحسن الأشعري، إذ قال: ((وندين بأن الله تعالى يـُرى في الآخرة بالأبصار كما يـُرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله)) (٢).

٢ ـ ما اعتقده أحمد بن حنبل إمام الحنابلة، إذ قال: ((والأحاديث في أيدي أهل العلم عن النبي: أن أهل الجنة يرون ربهم لا يختلف فيها أهل العلم فينظرون إلى الله)) (٣).

٣ ـ ما اعتقده البخاري في صحيحه، إذ قال في كتاب التوحيد إن من المؤمنين مـَنْ يرى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يوم القيامة، وروى روايات في هذا الباب، منها: ((عن قيس عن جرير قال: كنا جلوساً عند النبي ـ صلى الله عليه وسلّم ـ : إذا نظر إلى القمر ليلة البدر قال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تـُضامـُّون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاةٍ قبل غروب الشمس فافعلوا)) (٤).

---

(١) الإحكام في أُصول الأحكام ((للآمدي)) :٥٦/٤. وينظر: منتهى السول في علم الأُصول :٣٢/١.

(٢) الإبانة :٢١.

(٣) الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية :١٣٧/١.

(٤) صحيح البخاري :٥٣٨/٨.

وقد استدلّ القائلون بجواز رؤية الله ـ تبارك وتعالى ـ ببراهين عقلية ونقلية[1]، ومن البراهين العقلية:

أولاً: ((ليس في جواز الرؤية إثبات حـَدَث؛ لأن المرئي لم يكن مرئياً لأنه محدث، ولو كان مرئياً لذلك للزمه أن يرى كل محدث وذلك باطل عنده)) [2].

ورُدّ بأن الحدوث ليس شرطاً كافياً في الرؤية حتى تلزم رؤية كل محدث، بل هو شرط لازم يتوقف على انضمام سائر الشروط؛ ولأنّ بعضها غير متوافر في الموجودات المجردة المحدثة، لا تقع عليها الرؤية.

ثانياً: ((ليس في إثبات الرؤية لله تعالى تشبيه)) [3].

ورُدّ هذا الدليل بأنّ حقيقة الرؤية قائمة بالمقابلة أو ما في حكمها، وهي لا تنفك عن كون المرئي في جهة ومكان، وهو يستلزم كونه ـ سبحانه ـ ذا جهة ومكان، فأي تشبيه أظهر من ذلك، وكيف يقول: إن تجويز الرؤية لا يستلزم التشبيه؟!

أما البراهين النقلية، فهي آيات قرآنية كريمة، منها:

١ ـ قوله ـ تعالى ـ : (وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) [4].

واحتـُجَّ بهذه الآية المباركة من وجهين:

---

[1] ينظر: الإلهيات على هدى الكتاب والسنّة والعقل :٢/١٣١ و١٣٢، والفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية :١/١٤٠ و١٤١، ودروس في العقيدة الإسلامية ((لمحمد تقي مصباح اليزدي)) :٨٩.

[2] اللمع :٦١.

[3] المصدر نفسه :٦٢.

[4] الأعراف :١٤٣.

الأول: أن موسى ((عليه السلام)) سأل الرؤية، ولو كانت ممتنعة لما سألها؛ لأنه إما أن يعلم امتناع الرؤية أو يجهله، فإن علم فالعاقل لا يطلب المحال، وإن جهله فهو لا يجوز في حق موسى، فإن مثل هذا الشخص لا يستحق أن يكون نبياً.

وقد رُدّ هذا الوجه بأمرين:

١ ــ أن النبي موسى ((عليه السلام)) كان من أعلم الناس بالله ــ سبحانه ــ وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز، ولكن ما كان طلب الرؤية لنفسه، بل لقومه لتبكيتهم حين طلبوا منه الرؤية البصرية، إذ قالوا: (فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهِ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ) (١).

٢ ــ أن ما طلبه النبي موسى ((عليه السلام)) ليس المراد منه تقليب الحدقة نحو المطلوب؛ لأن ذلك إنما يكون نحو ذي الجهة، فلو سأله موسى لكان قد أثبت لله ــ سبحانه ــ جهة، وهو منزّه عنها لضرورة العقل.

الوجه الثاني: أنه ــ تعالى ــ علـّق الرؤية على استقرار الجبل، وهو أمر ممكن في نفسه، والمعلـّق على الممكن ممكن.

وقد رُدّ هذا الوجه بأنّ المعلـّق عليه في قوله: (فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ) ليس هو إمكان الاستقرار، بل وجود الاستقرار وتحققه بعد تجليّه، والمفروض أنه لم يتحقق بعد التجلِّي، وإذا كان إمكان الرؤية معلـّقاً على تحقق الاستقرار بعد التجلـِّي، فينتج أن الرؤية ليست أمراً ممكناً لفقدان المعلـّق عليه.

---

(١) النساء :١٥٣.

٢ ـ قوله تعالى ـ وهي محل البحث ـ : (كَلا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ) (١).

ووجه الاستدلال بهذه الآية الكريمة أن ((النظر إذا كان بمعنى الانتظار، يستعمل بغير صلة، ويقال: ((انتظرتُ)). وإذا كان بمعنى الرؤية يستعمل بـ((إلى)). والنظر في هذه الآية استعمل بلفظ ((إلى)) فيحمل على الرؤية)) (٢).

وقد رُدّ بأدلة كثيرة، منها:

١ ـ أن النظر بالعين يستلزم الجسمانية وكونه محدوداً في جهة معيّنة، وهو باطل بضرورة العقل والنقل، لقوله تعالى: (لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ).

٢ ـ أن النظر لا يفيد الرؤية، وإنما حقيقته تحديق الجارحة الصحيحة نحو المرئي طلباً لرؤيته، ولو أفاد الرؤية لما جعل غاية لنفسه، ألا تراهم يقولون: ما زلت أنظر إليه، ولا يقولون: مازلت أراه حتى رأيته؛ ولأنهم يثبتون النظر وينفون الرؤية، يقولون: نظرت إليه فلم أره، ولا يقولون: رأيته فلم أره.

٣ ـ المنع من إفادة ((النظر)) الرؤية لغة؛ وذلك لأن النظر إذا تعلّق بالعين أفاد طلب الرؤية الحسية، وإذا تعلّق بالقلب أفاد طلب المعرفة؛ لذا فإن ((النظر)) وإن اقترن به حرف ((إلى)) لا يفيد الرؤية؛ ولهذا يقال: ((نظرتُ إلى الهلال فلم أره))، وإذا لم يتعين هذا المعنى أمكن حمل الآية على تقدير مضاف، أي: إلى ثواب ربها ناظرة.

---

(١) القيامة : ٢٠.٢٥.

(٢) شرح التجريد :٣٣٤.

٤ ــ لو كان المراد من ((ناظرة)) الرؤية الحسية لما ناسب أن يعبّر ــ تعالى ــ بقوله: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)، بل لكان الأَوْلى أن يعبّر عن ذلك بـ((العيون))؛ لأن هناك فرقاً واضحاً بين قولنا: ((عيون يومئذٍ ناظرة)) وقولنا: ((إلى ربها ناظرة))، فالوجوه الناظرة غير العيون الناظرة، والأول منهما يناسب التوقع دون الثاني.

٥ ــ أن ((النظر)) سواء أكان بمعنى ((الرؤية))، أو بمعنى ((التوقع)) لا يدل على أن المراد هو الرؤية الحقيقية، ويعلم ذلك بمقارنة بعض الآيات المذكورة ببعضها، وعندئذٍ يرتفع الإبهام عن وجهها، وإليك تنظيم الآيات بحسب المقابلة:

أ ــ (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ) يقابلها قوله: (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ)

ب ــ (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) يقابلها قوله: (تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ).

ولاشك في أن الفقرتين الأوليين واضحتان جداً، وإنما الكلام في الفقرة الثالثة فيجب رفع إبهامها عن طريق الفقرة الرابعة التي تقابلها.

ولأن المراد من الفقرة الرابعة هو أن الطائفة العاصية التي عبر عن صفتها بكونها ذات وجوه باسرة، تظن وتتوقع أن ينزل بها عذاب يكسر فقارها ويقصم ظهرها، يكون ذلك قرينة على أن المراد من الفقرة الثالثة، وهو أن الطائفة المطيعة ذات وجوه ناظرة تتوقع عكس ما تتوقع الطائفة الأولى، وتتوقع فضله وكرمه. هذا هو الذي يستظهره الذهن المجرد عن كل رأي مسبق؛ من مقابلة الآيتين.

وبعبارة أُخرى: لا يصح لنا تفسير الفقرة الثالثة إلا بضد الفقرة الرابعة؛ ولأن الفقرة الرابعة صريحة في أن المراد توقع العصاة العذاب الفاقر، يكون المراد من الفقرة الثالثة توقع الرحمة والفضل والكرم حتى ولو كان النظر بمعنى الرؤية، ولكن ليس كل رؤية معادلة للرؤية بالأبصار، بل ربما تكون الرؤية كناية

عن التوقع، فيقال: ((فلان ينظر إلى يد فلان))، ويراد: أنه رجل معدم محتاج ليس عنده شيء، وإنما يتوقع عطاء الشخص، فما أعطاه مَلَكَه، وما منعه حرُم منه.

٦ ـ أن معنى ((ناظرة)) في الآية الكريمة، أي: متوقعة، ومنه قول بعضهم: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، أي: متوقّع، ويقولون: أنظر إلى الله ثم إليك، أي: أتوقّع فضل الله ثم فضلك. وقال الطريح بن إسماعيل:

وإذا نظرتُ إليك من ملك		والبحر دونك جرتني نعماءُ

وقول جميل بن معمر:

إني إليكَ لما وعدتَ لَناظرٌ		نَظَرَ الفقير إلى الغني الموسرِ

وقول آخر:

وجوهٌ يومَ بدرٍ ناظراتٌ		إلى الرحمانِ تأتي بالفلاحِ

وقال الزمخشري: ((وسمعت سَرَوِية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم، ويأوون إلى مقائلهم تقول: ((عُيَيْنَتي نُوَيْظِرَةٌ إلى الله وإليكم))، تقصد راجية ومتوقعة لإحسانهم إليها))[1].

ومهما يكن من أمر، فإنني أرى ـ والله أعلم ـ أن دلالة ((النظر)) في الآية الكريمة: (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) هي: ((توقّع الشيء))، ولا يمكن أن تكون بمعنى ((الرؤية)) البصرية؛ لاستحالة رؤية الله ـ تبارك وتعالى ـ ؛ للأدلة النقلية والعقلية التي ذكرتها، فضلاً عن نصِّ أصحاب المعجمات على أن ((النظر)) إنْ كان متعدياً بحرف الجر ((إلى)) فإنه قد يأتي بمعنى ((توقّع الشيء)).

تاسعاً: ((النظر)) بمعنى ((الإمهال)) أو ((الرحمة والعطف)) أو ((التأخير))

---

[1] تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل :٤/٦٦٢.

ومنه قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ) (١).

فقد ذكر المفسرون أن ((النظر)) في (وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ) في الآية الكريمة يدل على ((الإمهال)) أو ((الرحمة والعطف)) أو ((التأخير))، وهي كالآتي:

أولاً: ((الإمهال)، أي أن المعنى: لا يمهلون للاعتذار، كما قال ـ تعالى ـ : (وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ) (٢)، قطعاً لطمعهم في التوبة(٣)، ((وإنما نفى إنظارهم للتوبة والإنابة لما علم من حالهم أنه لا ينيبون، ولا يتوبون كما قال: (وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ) (٤)...))(٥).

ثانياً: ((الرحمة والعطف))، فالمراد أنه ـ تبارك وتعالى ـ لا ينظر إليهم نظر رحمة وعطف(٦).

ثالثاً: ((التأخير))، ومعناه أن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لا يؤخر أو يؤجِّل العذاب عنهم، بل عذابهم يكون حاضراً متصلاً بعذاب مثله(٧)، ((فكأنّه تعالى أعلمنا أن حكم دار العذاب والثواب بخلاف حكم الدنيا، فإنهم يمهلون فيها إلى آجال قدَّرها الله تعالى، وفي الآخرة لا مهلة البتة، فإذا استمهلوا لا يمهلون، وإذا استغاثوا لا يغاثون، وإن استعتبوا لا يعتبون، وقيل لهم: (اخْسَؤُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ)(٨)...))(١).

---

١) البقرة :١٦١ و١٦٢.

٢) المرسلات :٣٦.

٣) ينظر: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل :٣٢٥/١، ومجمع البيان في تفسير القرآن :٢٤٣/١.

٤) الأنعام :٢٨.

٥) مجمع البيان في تفسير القرآن :٤٧٢/١.

٦) ينظر: المصدر نفسه :٤٧٢/١.

٧) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن :٢٤٣/١، والتفسير الكبير :١٨٩/٤.

٨) المؤمنون :١٠٨.

ويبدو أن ((النظر في الآية الكريمة: (وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ) يحمل هذه المعاني الثلاثة ((الإمهال)) و((الرحمة والعطف)) و ((التأخير))؛ فالله ــ عزَّ وجلَّ ــ نفى عن هؤلاء الكفار ــ وقد ماتوا وهم كفار ــ الرحمة؛ لأن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ونفى عنهم الإمهال في التوبة والاعتذار؛ فكان يمكن لهم أن يتوبوا ويعتذروا في الحياة الدنيا، وهي دار العمل، أمّا بعد موتهم ــ وهم كفار ــ فلا، ونفى ــ تبارك وتعالى ــ عنهم التأخير أو التأجيل في العذاب، والله أعلم.

---

[١] التفسير الكبير :١٨٩/٤.

الخاتمة

هذا بحث عرضت فيه لدلالة النظر في القرآن الكريم، من خلال أقوال المفسرين، وقد انتهى بي إلى هذه النتائج الآتية:

١. ورد ((النظر)) في القرآن الكريم دالاً على ((البصر ـ رؤية العين)) و((التأمل)) في الوقت نفسه، جاعلاً من ((البصر ـ رؤية العين)) طريقاً إلى ((التأمل)).

٢. استعمل في القرآن الكريم الفعل المضارع المبني للمعلوم من ((نظر)) من الأفعال الخمسة ((ينظرون)) ـ غالباً ـ ، وكذا اسم الفاعل ـ جمع مذكر سالم ((مُنتَظِرون)) ـ في معنى ((الانتظار)). واستعمل الفعل المضارع المبني للمجهول من ((نظر)) من الأفعال الخمسة ((ينظرون)) ـ غالباً ـ ، وكذا اسم المفعول ـ جمع مذكر سالم ((مُنـَظرون)) ـ في معنى ((الإمهال والتأخير)).

٣. كان معنى ((الإمهال)) في القرآن الكريم مقدمة لمعنى ((التأخير))، فحين يحصل ((الإمهال)) تكون نتيجته ((التأخير)).

٤. إن معنى الكلمة لا يُدرك أحياناً إلا من خلال السياق الذي ترد فيه، وإنّ لمعرفة أسباب النزول أثراً واضحاً في تحديد دلالة الكلمة وبيان المراد منها في كل آية من آيات الذكر الحكيم.

٥. كان للمباني العقائدية الإسلامية المختلفة أثر في فهم دلالة ((النظر)) في القرآن الكريم؛ ولذا وجدت اختلاف المفسرين في ((نظر)) الله ـ تبارك وتعالى ـ إلى عباده، أو ((نظرهم)) إليه ـ عزّ وجلّ ـ .

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. أثر القرآن في تطور النقد العربي: د. محمد زغلول سلام، مكتبة الشباب بالمنيرية، ط ١ ، ١٩٨٢م.

٣. أثر القرآن والقراءات في النحو العربي: د. محمد سمير نجيب اللبدي، دار الكتب الثقافية، ط ١ ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٤. الإحكام في أُصول الأحكام: الآمدي، علي بن أبي علي (ت٦٣١هـ)، مؤسسة الحلبي، القاهرة، ط ١، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

٥. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: محمد بن محمد العمادي أبو السعود (ت٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي ، (د، ت).

٦. إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: الحسين بن محمد الدامغاني (ت٤٧٨هـ)، تحقيق: عبدالعزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، ١٩٧٧م.

٧. الإلهيات على هدى الكتاب والسنّة والعقل: الشيخ جعفر السبحاني، مكتبة التوحيد، ط٥، ١٤٣٢هـ.

٨. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٣م.

٩. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٧٩١)، دار الفكر ـ بيروت، ١٩٩٦م.

١٠. بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، طهران ، (د، ت).

١١. البحر المحيط: أثير الدين أبو عبدالله محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، مطبعة السعادة بمصر، ط ١، ١٣٢٨هـ.

١٢. البرهان في علوم القران: بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت٧٩٤هـ) قدم له وعلق عليه: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العربية، بيروت ـ لبنان، ط ١، ١٩٨٨م.

١٣. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، وراجعته لجنة من وزارة الإعلام، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

١٤. التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملين مطبعة مكتبة الإعلام الإسلامي، ط ١ ، ١٩٨٩م.

١٥. التحرير والتنوير: محمد بن الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر ، (د، ت)، جزء المقدمات وتفسير سورة الفاتحة وجزء عم، دار الكتب الشرقية، تونس.

١٦. تحف العقول: أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، مؤسسة الأعلمي، لبنان، ١٣٩٤هـ.

١٧. تفسير ابن أبي حاتم: الإمام الحافظ أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، صيدا، المكتبة العصرية ، (د، ت).

١٨. تفسير السراج المنير: الخطيبي الشربيني، أُعيد طبعة بالأوفسيت، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ط٢ ، (د، ت).

١٩. تفسير الصافي (الصافي تفسير كلام الله): المولى محسن الملقب بالفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ)، دار المرتضى للنشر، مشهد، ط ١ ، (د، ت).

٢٠. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٤٤هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٢م.

٢١. تفسير القرآن الكريم (تفسير شبر): السيد عبدالله شبر (ت١٢٤٢هـ)، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م.

٢٢. تفسير القمي: أبو الحسين علي بن إبراهيم القمي (من أعلام القرن الثالث والرابع الهجريين)، تحقيق: السيد طيبي الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، قم ـ إيران، منشورات مكتبة الهدى ، (د، ت).

٢٣. التفسير القيم: الإمام ابن القيم جمعة بن إدريس، حققه: محمد حامد، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.

٢٤. التفسير الكبير: محمد بن عمر بن الحسين، فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، المطبعة البهية المصرية، ط ١، ١٣٥٧هـ ـ ١٩٨٣م.

٢٥. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان ، (د، ت).

٢٦. التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري (ع)، المطبعة الإسلامية، قم، ١٣٠٢هـ.

٢٧. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: د. محمد سيد طنطاوي، مطبعة السعادة، ط٢، ١٩٧٤م.

٢٨. تفسير جوامع الجامع: الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط ١، ١٤١٨هـ.

٢٩. تفسير غريب القرآن: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٨م.

٣٠. تفسير كنز الحقائق: الميرزا محمد المشهدي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ، (د، ت).

٣١. تفسير مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي المخزومي (ت١٠٤هـ)، قدم له وحققه وعلي حواشيه: عبدالرحمن الطاهر بن محمد السورتي، المنشورات العلمية، بيروت ، (د، ت).

٣٢. تفسير نور الثقلين: الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (ت١١١٢هـ)، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، مطبعة مؤسسة إسماعيليان، ط٤، ١٩٩٢م.

٣٣. تقريب القرآن إلى الأذهان: السيد محمد الحسيني الشيرازي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ١، ١٤٠٠هـ.

٣٤. تلخيص البيان في مجازات القرآن: الشريف الرضي، أحمد بن الحسين الموسوي العلوي (ت٤٠٦هـ)، حققه وقدم له: محمد عبدالغني حسن، دار إحياء الكتب العربي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط ١، ١٩٥٥م.

٣٥. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: المنسوب الى ابن عباس (رض)، دار الكتب العلمية ، (د، ت).

٣٦. تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٦٤ ـ ١٩٦٧م.

٣٧. التوحيد: أبو جعفر ابن بابويه القمي الصدوق، مكتبة الإعلام الإسلامي، إيران، ١٤٠٩هـ.

٣٨. التوحيد، بحوث في مراتبه ومعطياته: السيد كمال الحيدري، دار فراقد، ط٥، ١٤٢٧هـ ـت ٢٠٠٦م.

٣٩. جامع البيان في تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٤٠. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م.

٤١. الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين: السيد عبدالله شبر (ت١٢٤٢هـ)، مطبعة الألفين، الكويت، ط ١، ١٤٠٧هـ.

٤٢. حقائق التأويل في متشابه التنزيل: الشريف الرضي، أحمد بن الحسين الموسوي العلوي (ت٤٠٦هـ)، شرحه: الأستاذ محمد الرضا آل كاشف الغطاء، مطبعة الغري في النجف الأشرف، ١٩٣٦م.

٤٣. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبدالقادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، مطبعة المدني، ط٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٤٤. الدر المنثور في التأويل بالمأثور: جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، مطبعة الفتح، جدة، ط ١، ١٩٤٥م.

٤٥. دروس في العقيدة الإسلامية: الأُستاذ محمد تقي مصباح اليزدي، المشرق للثقافة والنشر، ط ١، ٢٠٠٦م.

٤٦. ديوان عمر بن كلثوم: دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م.

٤٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين الآلوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ط٢ ، (د، ت).

٤٨. زاد المسير في علم التفسير: أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي البغدادي (ت٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، ط ١، ١٩٦٨م.

٤٩. شرح أصول الكافي: المولى محمد صالح المازندراني (ت١٠٨١هـ)، تحقيق: السيد علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٥٠. شرح التجريد: جمال الدين الحسن بن يوسف الحلي، مؤسسة الأعلمي، ١٣٩٩هـ.

٥١. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، مطبعة دار الكتاب العربي، مصر، ١٣٣٧هـ.

٥٢. صحيح البخاري: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٥٣. العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٠ ـ ١٩٨٥م.

٥٤. غريب القرآن المسمى (نزهة القلوب): أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني (ت٣٣٠هـ)، دار الرائد العربي، بيروت ـ لبنان، ط٣، ١٩٨٢م.

٥٥. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، عالم الكتب، بيروت ، (د، ت).

٥٦. الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)، ضبطه وحققه: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ، (د، ت).

٥٧. فصول في فقه العربية: د. رمضان عبدالتواب، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٥.

٥٨. الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم: محمد مصطفى محمد، مطبعة الخلود، بغداد، ط٢، ١٩٨٤م.

٥٩. الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية: العلامة الشيخ محمد جميل حمّود، دار الفقه للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٢٥هـ.

٦٠. في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط١١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٦١. القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية: د. عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة علي جراح الصباح، ط٢، ١٩٨٧م.

٦٢. الكاشف: محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين ـ بيروت، ط٣، ١٩٨١م.

٦٣. لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر ـ بيروت، ١٩٦٨م.

٦٤. مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت٢١٠هـ)، عارضه بأصوله وعلق عليه: د. محمد فؤاد سزكين، مطبعة السعادة، مصر، ج١، ط٢، ١٩٧٠م، وج٢، ط١، ١٩٦٢م.

٦٥. مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسين الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، عني بطبعه: أحمد عارف الزين، مطبعة العرفان، صيدا، سوريا، ١٣٣٣ ـ ١٣٥٦هـ.

٦٦. المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز: أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن عطية المحاربي، دار الفكر، بيروت ، (د، ت).

٦٧. المحصول في علم أُصول الفقه: فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: د. طه جابر العلواني، جامعة محمد بن سعود الإسلامية السعودية، ط ١ ، ١٣٩٩هـ.

٦٨. المحيط في اللغة: الصاحب بن عباد، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار الحرية للطباعة ـ بغداد، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨.

٦٩. المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، المعروف بابن سيده (ت٤٥٨)، دار الفكر، (د، ت).

٧٠. معالم التنزيل: الحسين بن مسعود الفرّاء البغوي (ت٥١٦هـ)، تحقيق: خالد العك ومروان سوار، دار المعرفة ـ بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

٧١. معاني القرآن: أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي المعروف بالأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ)، تحقيق: د. فائز فارس، الكويت، ط٢، ١٩٨١م.

٧٢. معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ت٢٠٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب ـ بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

٧٣. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبدالباقي، مطبعة دار الكتب المصري، ١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٥م.

٧٤. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشكراه، القاهرة، ط ١، ١٣٦١هـ.

٧٥. مفردات ألفاظ القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٢٦هـ.

٧٦. مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر: السيد علي الحائري الطهراني (ت١٣٤٠هـ)، دار الكتب الإسلامي، طهران، (د، ت).

٧٧. الملل والنحل: الإمام أبو الفتح محمد الشهرساتي (ت٥٤٨هـ)، صححه وعلق عليه: الأستاذ الشيخ أحمد فهمي محمد، مطبعة حجازي، القاهرة، ط ١، ١٩٤٨م.

٧٨. من وحي القرآن: السيد محمد حسين فضل الله، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، (د، ت).

٧٩. منتهى السول في علم الأصول: الآمدي (ت٦٣١هـ)، مطبعة صبيح، القاهرة ، (د، ت).

٨٠. الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ـ إيران، (د، ت).

٨١. النوادر في اللغة: سعيد بن أوس أبو زيد الأنصاري (ت٢١٥هـ)، تحقيق الشرنوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

الرسائل الجامعية:

٨٢. ألفاظ التبليغ في القرآن الكريم من الله تعالى إلى الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) ـ دراسة دلالية، رياض علي حسن، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية ـ كلية التربية، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

البحوث المنشورة:

٨٣. مادة ((قتل)) في القرآن الكريم دراسة صرفية: د. خميس عبدالله التميمي، مجلة الأُستاذ، جامعة بغداد/ كلية التربية ـ ابن رشد، العدد ٦٩، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.